

النقد اللغوي
بين التحرر والمجود

تأليف

د. نعمة صميم العزادى

المؤلف في سطور :
د. نعمة رحيم العزاوي

- ولد في الحلة عام ١٩٣٦ .
- تخرج في دار المعلمين العالية عام ١٩٥٨ وحصل على الماجستير عام ١٩٧٤ .
- حصل على الدكتوراه بتقدير امتياز من جامعة بغداد ١٩٧٧ .
- يشغل الان وظيفة خبير في وزارة التربية ويقوم بعمادة معهد تطوير تدريس العربية .

من مؤلفاته :

- ابو بكر الزبيدي الاندلسي وآثاره في النحو واللغة .
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري .
- احمد حسن الزيات كاتباً وناقداً .
- نشر طائفة من الدراسات عن المتنبي .
- مناهج التصويب اللغوي .
- الملكة اللسانية وغيرها .

الموسوعة الصغية

تصدرها

دائرة الشؤون الثقافية والنشر

بغداد / الجمهورية العراقية

١٩٨٤

رئيس التحرير / موسى كريدري

سكرتيرة التحرير / ميسلون هادي

الموسوعة الصغيرة
(١٤١)

النقد اللغوي بين التحرر والجمود

الدكتور

نعمة رحيم العزاوي

منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر - بغداد

الجمهورية العراقية

١٩٨٤

توطئة

تتفاوت مناهج النقد ، وتختلف مقاييس النقاد ،
فبعضهم ينظر الى النص الادبي في ضوء مقاييس فنية ،
استنبطها الدارسون من روائع الأدب ، وشوامخ الآثار ،
ويعرف هؤلاء النقاد بالنقاد الفنيين ، كما يعرف منهجهم
النقدي بالمنهج الفني • ويعد هذا المنهج في نظر بعض
الدارسين احسن مناهج النقد الادبي ، لأنه يرتبط
بالنص ، ولا يهتم بشيء سواه •

وينظر بعض النقاد الى النص في ضوء علم النفس ،
وما اكتشف في مجاله من حقائق ومفاهيم تتعلق بالنفس
البشرية ، وتفسر سلوك الانسان ، او ما يصدر عنه

من قول أو عمل • ويسمى المنهج الذي يتبعه هؤلاء
النقاد بالمنهج النفسي • وكما يوجد بين الدارسين من
يتحس للمنهج الفني في النقد ، وجد كذلك بينهم من
يدافع عن المنهج النفسي ، ويرى أن من المتعذر على
النقاد أن يفهم العمل الأدبي من غير الرجوع إلى علم
النفس ، أو الاعتماد على حقائقه •

ويجاوز فريق من النقاد النص الأدبي ، وما ينطوي
عليه من قيم شعورية وتعبيرية إلى البحث في بيئة صاحبه ،
والعصر الذي قيل فيه ، للوقوف على مدى صلة النص
بالبيئة أو العصر ، ومبلغ تمثيله لهما ، وتأثره بما كان
سائداً فيهما من تيارات أدبية وسياسية واجتماعية • أن
مثل هذا المنهج يعرف بالمنهج التاريخي ، وهو كما نرى
لا يعنى بالنص الأدبي عنايته بما حول النص ، كما أنه
يعامل النص على أنه وثيقة تاريخية يستشهد بها على
الحوادث السياسية أو الظواهر الاجتماعية والأدبية ، وفي
ذلك ما فيه من ابتعاد عن النص ، واغفال لما يزخر به من

قيم شعورية ، وأسرار بيانية ، هي مناط خلوده ، وسبب
الاحتفاء به على مر العصور •

ويبدو أن الذي جعل النقاد يتبعون المنهج النفسي
أو التاريخي هو الرغبة في جعل النقد علماً يقوم ، كما
تقوم العلوم الأخرى ، على قواعد وقوانين ، تنأى به عن
أن يكون احكاماً تأثرية ، لا يخضع لقواعد ، ولا يستند
الى دليل •

لقد برز في أوائل هذا العصر اتجاه يرمي الى تطويع
النقد لنظم العلم ، فمضى بعض اصحاب هذا الاتجاه
يلتمسون في علم النفس ما يعينهم على جعل احكامهم
علمية ، كما أثر غيرهم ان يجد في التاريخ او علم
الاجتماع ما يفيدهم في فهم الادب ، او تفسير ظواهره •

غير أن هذا الاتجاه قد وجد من يقاومه ، ويقف في
سبيله ، لا في النقد العربي الحديث فحسب ، بل وفي
النقد الاوربي ايضا •

ولعل ابرز ما يؤخذ على المنهجين النفسي والتاريخي
انهما يقللان عناية الناقد بالعمل الادبي ، ويجعلانه ينظر
الى النص في ضوء حقائق غريبة عنه ، بل ومقحمة عليه .
وقد لقي الاتجاه النفسي خاصة من يندد به ،
ويكشف خلل النتائج التي انتهى اليها ، وما حملة طه
حسين على كتاب « نفسية ابي نواس » لمحمد النويهي ،
وهو انموذج للنقد النفسي ، الا دليل على ما لقي هذا
الضرب من النقد من مقاومة ، وما جوبه به من رفض
وتفنيد (١) .

وكان محمد مندور ايضا ، ممن قاوم النقد
النفسي ، وارتاب في صحة الاحكام التي اقامها اصحابه
على قواعد علم النفس (٢) .

واذا كان المنهجان النفسي والتاريخي لم يجدا الا
انصاراً قلائل ، فما المنهج الذي ارتضاه الدراسون ،

(١) خصام ونقد (د . طه حسين) : ٢٢٨ وما بعدها .
(٢) في الميزان الجديد (د . محمد مندور) : ١٤٤ ، ط ٢

ورأوا فيه ما يعين على فهم الادب ، ويقفنا على اسرار ه ،
ويحقق لنا أن نستمتع به ، ونفيد منه في آن واحد .
لقد وجد بعض النقاد ان المنهج الفني أحق
بالاتباع ، لانه اقرب الى طبيعة الادب من المنهجين
الآخرين : النفسي والتاريخي ، ومن كل منهج يقحم
العلوم وقواعدها على الادب . كما وجدوا ايضاً ان
المنهج الفني يتيح للناقد قدراً كبيراً من الحرية ، ويمكنه
من ان ينتفع بما ثقف من الوان المعرفة ، وفنون العلم ،
ويحرره من اتباع علم معين أو الاعتماد على ضرب من
المعرفة دون سواه .

وثمة ميزة اخرى للمنهج الفني هي أنه يجعل
العمل الادبي محور العملية النقدية ، في حين ان المنهج
التاريخي او النفسي يبعدان الناقد عن النص ، ويقللان
من عنايته به ، لانهما يجعلانه يحوم حول النص ، دون
ان يدخل فيه ، ويحبس نفسه في داخله ، ليفسر
دقائقه ، ويجلو غوامضه .

ووجد غير هؤلاء ان المنهج الفني على وثاقة علاقته
بالنص ، لا يحقق لهم ما ينشدون الوقوف عليه من اسرار
بيانية ، وقيم تعبيرية ، يحفل بها العمل الادبي ، كما
رأوا انه لا يخدم الأدب بوصفه فناً لغوياً ، تقوم اللغة
منه مقام اللون من التصوير ، والرخام من النحت ،
والصوت من الموسيقى .

ادرك هؤلاء النقاد ان الادب ظاهرة لغوية ، ولا
سبيل الى فهمها ، او التأتي اليها الا من جهة اللغة ،
ومعنى ذلك ان « المنهج اللغوي » او « النقد اللغوي »
دون سواء من فنون النقد الاخرى ، هو الذي يلائم
هذه الظاهرة ، ويتكفل باستجلاء دقائقها ، لا رتباطه
الوثيق بأداتها الخام ، ومادتها الاولى ، وهي اللغة .

ولما كان المنهج اللغوي يتجه الى لغة النص ،
ويجعلها مدار العملية النقدية ، فان على الناقد اللغوي
ان يتبحر بعلم اللغة ونظرياتها ، ويتمكن من مناهج
درسها وفقها ، لان هذا الضرب من المعرفة يزيده بصرأ

بلغّة الأدب ، ويجعله قادراً على استخراج ما تزخر به
الكلمة ، أو العبارة من طاقات تعبيرية • ومن هنا يصرح
محمد مندور بأن المعرفة باللغة ، هي أهم ما يلزم الناقد
من معارف • أما العلوم الأخرى فإن « أقل ما فيها من
اضلال هو صرفنا عن ان نركز نظرنا في الادب كفن
لغوي » (١) •

وليس معنى هذا ان المنهج اللغوي يدعو الناقد
الى الكسل ، او يغريه به فان ابحاث علماء النفس
والجمال والا جتماع توسع آفاق الناقد ، وتبصره
بالنفس البشرية ، الا ان هذه المعارف لا يعتد بها الى
جانب معرفة أساسية ، لا غنى للناقد عنها ، وهي معرفة
اللغة ، والتوفر على أبحاثها ، وأساليب درسها ، وجوانب
عبريتها ، وما تمتاز به من اللغات الأخرى ، وما تقترب
فيه من تلك اللغات •

اننا لا نملك ان نفهم الادب بغير معرفة حقه باللغة

(١) في الميزان الجديد : ١٤٤ •

التي كتب بها ، ولا نحسن ان نستكشف كنوزه بغير
فقه لخصائص هذه اللغة ، واحاطة بما لأصواتها ومفرداتها
وتراكيبها من مزايا وصفات • والى مثل هذا ذهب محمد
مندور حين قرر أن النظريات اللغوية ، وعلوم اللغة ،
ومناهج بحثها ، هي المعرفة التي ينبغي للناقد ان
يعتزبها ، ويظفر منها بأوفى نصيب (٢) •

ولكي لا يحسب القارئ ان الناقد اللغوي هو
نحوي لغوي بالمعنى الذي يتبادر الى الازهان ، فاننا
نسارع فنقول : ان المعرفة التي يملكها النحوي او
اللغوي لا تصنع الناقد اللغوي ، لان هذا الضرب من
المعرفة ، وان احتاج اليها الناقد اللغوي ، لاتغني عن
ضرب آخر من المعرفة اللغوية ، يفتقر اليها النحوي او
اللغوي وهي معرفة « حس اللغة » و « وجوه عبقريتها »
و « جوانب طاقاتها الذاتية في الصوت والمفردة
والتركيب » و « ما توحيه الألفاظ او ما يشع منها من

(٢) في الميزان الجديد •

ظلال «

ولا شك في ان هذا اللون من المعرفة لا يرزقه
الا القليل ، ولا تقدمه المعجمات او كتب النحو
والصرف ، وهي المصادر التي يستقي منها النحوي
واللغوي ، وانما تقدمه كتب الادب ودواوين الشعراء ،
وتزخر به كتب النقد والتفسير ، واسفار فقه اللغة ،
القديم منها والحديث •

فاذا اتصل الناقد بهذه المصادر ، واكثر من
العكوف عليها ، وكان له طبع مواتٍ ، وفطرة سليمة ،
تجلت له اسرار اللغة التي ينقد أدبها ، واستطاع ان
يدرك جمالياتها ، ويحكم على مبلغ ما للاديب
من قدرة على استخدام هذه اللغة استخداماً يبرز
طاقاتها ، ويفيد من عناصرها الجمالية على اختلاف
انواعها •

واذا أدركنا ان الناقد اللغوي هو غير النحوي او
اللغوي وان مصادر هذا الناقد بجانب المعجمات وكتب

النحو والصرف ، هي دواوين الشعراء ، وكتب الادب
والنقد والبلاغة وفقه اللغة ، فاننا نقرر هنا ان النقد
اللغوي ليس بيان الخطأ والصواب في لغة الادب ، كما قد
يفهم البعض ، وانما يتعدى ذلك الى اِثارة مواطن
الحسن ، والتقاط القيم النفسية والشعورية التي تنبض
بها الالفاظ والتركيب .

ومن هنا فان الناقد اللغوي يخضع العمل الادبي
لضربين من المقاييس ، يتكفل الاول بيان سلامة العمل
المنقود من الخطأ ، ومطابقته للمألوف من قواعد اللغة ،
والمعهود من نظامها ، ويتولى الثاني الكشف عن مواطن
الجودة والرداءة في ذلك العمل .

وبمعنى اخر فان الناقد اللغوي ينظر الى النص
مرتين : مرة في ضوء ما وعته المعجمات وكتب اللغة
والنحو من قواعد ، ليعرف مدى مطابقة النص لهذه
القواعد ، ومرة في ضوء مقاييس لغوية اخرى لم تستنبط
من المعجم او كتب النحو والصرف ، وانما استقيت من

طبيعة اللغة الفنية ، وخصائصها الذاتية ، وما وهبت
من قدرات لا يفقهها الا الأديب البارع ، ولا يفطن اليها
الا الناقد البصير •

والحقيقة ان الشق الاول من عمل الناقد اللغوي
أمر "هين" لا يكشف عن قدرته ، ولا ينم على رسوخ
قدمه في هذا الضرب من النقد ، اذ ان مجرد الالمام بقواعد
اللغة والصرف يكفي لمعرفة ما وقع فيه الأديب من اخطاء
نحوية ، او زلات لغوية ، ولكن الشق الاخر من عمل
الناقد اللغوي هو الذي تتجلى فيه موهبته ، وتبرز
قدرته على التهدي الى دقائق الفن ، واسرار التعبير ،
سواء كانت في الصوت ام المفردة ام التركيب ، وعلاقة
هذه الاسرار بما في نفس المنشئ من هواجس ، وما
يعتمل في فكره من خواطر •

ان استكشاف كنوز النص التعبيرية ليس امراً
سهلاً ، فهو — بجانب ما يحتاج اليه من فقه دقيق باللغة
وتاريخها وخصائصها — يعتمد على ما للناقد من استعداد

فطري ، وموهبة خاصة ، يجعلانه قادراً على استجلاء
ما فصد اليه المنشئ من اختيار لفظ دون لفظ ،
واستعمال تركيب دون آخر •

والذي يرجع الى أئمة النقد اللغوي في أدبنا القديم
يعجب لما كان عليه أولئك الافذاذ من معرفة عميقة
باللغة ، وقدرة فائقة على استجلاء أسرار اساليبها ، فقد
كانوا يققون امام المفردة او التركيب فيستخرجون منها
اسراراً وايحاءات تزيدنا متعة بالنص ، وتضاعف اعجابنا
بالاديب •

ففي « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الحرجاني ، و
« الكشف » للزمخشري امثلة رفيعة من النقد اللغوي ،
وتحليل دقيق لآيات القرآن الكريم والنصوص الشعرية
والنثرية ، تجعل قارئ هذا النقد يؤمن بضرورته
واهميته لاثبات فنية الأدب من جانب ، وابرار اصالة
الاديب وعبقريته من جانب آخر •

ان فنية الأدب لا يمكن ان يظهرها نقد فني او نفسي

او تاريخي او اجتماعي ، وان عبقرية الأديب لا يمكن ان يثبتها ، يدلل على وجودها شيء من هذه المناهج النقدية ، وانما الذي يتكفل بذلك هو النقد اللغوي •

لقد ادرك نقادنا الاوائل ان اللغة هي العنصر الرئيس في الادب ، وانها في العمل الادبي ليست وسيلة اتصال او افهام وانما هي غاية بنفسها ، يعمل الاديب على تشكيلها تشكيلاً خاصاً ، يرفعها عما جرى عليه الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم ، ويهبها - بهذا التشكيل الجديد - خصوصية تجعلها لغة متميزة ، تتجاوز مرتبة الافهام الى مرتبة التأثير •

لقد ادرك نقادنا العرب ذلك ، وفطنوا الى اهمية الصياغة في العمل الادبي ، فجعلوا اللغة معقد اهتمامهم ، ومدار اعمالهم النقدية •

على ان نقادنا القدامى لم يهتموا بالشكل هذا الاهتمام الكبير الا لأنهم يعلمون - كما تقدم - ان

اللغة عند الاديب الحق ليست وسيلة افهام وايصال ،
وانما هي وسيلة لخلق فني جديد ، يتميز به من غيره ،
ويضع عليه طابعه الخاص ، فهو يستخدم الالفاظ
والصور استخداماً معيناً او خاصاً ، فتكون مهمة الناقد
استكشاف هذه « الخصوصية » في لغة النص ، وبغير
استكشافها ، وبيان طبيعتها ، يظل العمل الادبي منطوياً
على اسراره ، فلا يستطيع المتلقي فتح مغالقه ، والوقوف
على شيء من دقائقه ولطائفه •

يتضح مما سبق ان اسراراً كثيرة تكمن في لغة
العمل الادبي ، ومن هذه الاسرار ما يرجع الى المفردات ،
ومنها ما يعود الى التراكيب ، او ما بين الالفاظ من
علاقات ، وان مهمة الناقد اللغوي ان يستكشف تلك
الاسرار ، ويعمل على فتح مغالقتها ، ليصل العمل
الادبي الى ما ينشده له مبدعه من تأثير وامتناع ، وبغير
هذا الاستكشاف يبقى النص مغلقاً ، لا يصل منه الى
المتلقي شيء ذو بال • بمعنى ان من اكبر فوائد النقد

اللغوي انارة مواطن الحسن في التعبير الادبي ، ليؤدي الغرض ، وهو الاثارة والامتناع . واذا استطاع الناقد ان يقفنا على ما في لغة النص من ميزات ، وعلى ما اودعه الاديب فيها من اسرار ، ازداد تأثرنا بذلك النص ، وتضاعف ما نجده له من تأثير في نفوسنا ، وعظم ، بعد ذلك ، اعجابنا بالاديب .

ان الاديب بعقله الخالق ، وبموهبته الكبيرة ، يستخدم اللغة استخداماً خاصاً ، ويستخرج منها كل امكانياتها ، وان الناقد اللغوي بمعرفته العميقة باللغة ، وبذوقه المدرب المصقول ، يجلو لنا سمات ذلك الاستخدام اللغوي الخاص ، فيجعلنا احسن فهماً له ، واشد انساً به .

ومعنى ذلك ان الناقد لن يخدم النص ، ولن يخدم المتلقي ، ولن يعرف فضل هذا المنشئ او ذاك ، ما لم يجعل لغة النص مدار اهتمامه ، ومحور عمله .

اذا اغفل الناقد لغة العمل الادبي ، ومضى يتحدث

عن جوانب اخرى منه ، فانه لا يعد الناقد الناقد ، وان كل ما سيأتي به لا يتصل بجوهر الادب ، ولا يمس قضيته الاولى ، ونعني بها اللغة .

ونحن لا نقول باهمال الجوانب الاخرى من النص ، ولكننا نعتقد ان الاهتمام بها ينبغي ان يجيء من خلال الاهتمام بلغة النص ، وبمقدار ما يكون لهذه الجوانب من انعكاسات في تلك اللغة .

نخلص من ذلك الى القول : ان المنهج اللغوي في النقد العربي الحديث مازال دعوة ، كان محمد مندور في أواخر النصف الاول من هذا القرن من اكبر أنصارها ، غير انها لم ترزق حتى الان الناقد الذي يتبناها ، ويخرج بها من صعيد المفاهيم والافكار المجردة الى التطبيق والممارسة

على ان نقدنا العربي القديم هو نقد لغوي في جملته ، وان الرجوع اليه ، والاسترشاد به ، خير منه لمن يريد ان يتبنى هذا الضرب من النقد ،

وبحرز سبقاً فيه •

ولا تفوتنا الإشارة هنا الى ان « الاسلووية » او « النقد اللغوي » هو الاتجاه الذي يغلب على النقد الاوربي المعاصر ، وان عدداً من النقاد هناك اتجهوا الى دراسة لغة هذا الاديب او ذاك ، مفيدين في دراساتهم هذه من علوم اللغة ومن نظرياتها ، ومسجلين أروع النتائج ، واجلها قيمة في ميدان النقد واللغة وتاريخ الادب •

واذا كان النقد اللغوي يتناول لغة العمل الادبي من جانب سلامتها ومطابقتها للمعهود من قوانين اللغة وقواعدها ، ومن جانب فنياتها ، وما اودعه الاديب فيها من اسرار وقيم جمالية ، فان النقد العربي المعاصر ، قد سجل انصرافاً تاماً ، او شبه تام عن الجانب الثاني من مهمة النقد اللغوي • اما الجانب الاول فقد حظي بعناية بعض اللغويين الذين لانستطيع ان نجعلهم في صفوف النقاد ، ولا نستطيع ان نعد تقدمهم نقداً لغوياً

متكاملاً ، لأنه جاء مقتصرًا على بيان الصواب والخطأ
في لغة الاعمال الادبية ، وهو بعض النقد اللغوي لأكمله ،
او هو جانب من هذا المنهج النقدي المهم •

لقد واجه هؤلاء اللغويون الاعمال الادبية بمعرفة
اللغوي او النحوي وحدها ، وهي معرفة لا تكفي لنقد
لغة النص ، ما لم يصاحبها طبع ناقد ، وموهبة نقدية ،
وذوق فني مرهف ، نجم عن درس واسع للأساليب ،
وتمرس تام بروائع الشعر والنثر ، وقديماً لم يعترف
نقادنا الاوائل بقدرة اللغويين على النقد ، ولم يسلموا
لهم بإمكان النظر في النصوص ، والتهدي الى مواطن
الجمال فيها ، وردوا عليهم جل ما صدر عنهم من نقد •

لقد شغل اذن عدد من لغويينا المعاصرين باخطاء
الادباء ، ومضوا يستقصونها ، ويرشدون الى ما يقابلها
من الصواب ، فكانوا فئتين : فئة متشددة تدعو الى
أفصح ماوعته اللغة من مفردات واساليب ، وترفض ما
عدا ذلك ، وفئة متسامحة تتيح للأديب قدراً معقولاً من

الحرية ، وتسمح له بالتجديد والاضافة ، في حدود ما
تعرف اللغة من نظام عام ، وقوانين ثابتة •

وسنحاول فيما ياتي من صفحات ان ندرس هذين
الاتجاهين مشيرين الى مظاهرها ، وجذورها
التاريخية •

النقد اللغوي

بين التحرر والجمود

من الثابت ان اللغة لا تجمد على حال معينة ، ولا تقف عند حد مرسوم ، وانما هي عرضة للتطور ، بل ان تطورها ناموس طبيعي لا سبيل الى منعه ، او الوقوف بوجهه ، ذلك لانها ترتبط بحياة متكلميها ارتباطاً وثيقاً ، ولما كانت الحياة في تطور دائم ، وتغير مستمر ، فان اللغة ايضا تسير الحياة في هذا الشأن ، فترقى اذا رقيت الحياة وتقدمت ، وتتخلف اذا تخلفت الحياة او توقفت عن المسير •

والناظر في لغة قوم في حقبة معينة من حياتهم ،

يستطيع ان يدرك احوالهم ، وماهم عليه من رقي وتقدم ،
او جمود وتخلف ، ذلك لان اللغة سجل الجماعة اللغوية ،
والديوان الذي يرجع اليه لمعرفة ما حققته من نهضة ،
او ما آلت اليه من عجز وقصور • ومن هنا وصف باحث
المعجم اللغوي لأي أمة من الامم بأنه « الخزانة العجيبة
الحاوية اروع ما توصل اليه اي شعب في ضبط مفاهيمه ،
وفي التعبير عن حياته » • (١)

واذا كان الامر كذلك ، فان اللغة تتطور ، وهي في
تطورها هذا انما تستجيب لتطور الحياة ، وتعمل على
مواكبتها ، والوفاء بالتعبير عما يجد فيها ، او يستحدث
بها من شؤون معنوية او مادية ، وهي تفعل ذلك دون ان
تستأذن جهة ، او تطلب اجازة من أحد •

واما النقاد فانهم عادة ينقسمون على فريقين : فريق
يمنع التطور ، ويعمل على وقف تياره ، وفريق يأخذ به ،
ويستجيب له ، وكلاهما يندفع في موقفه هذا بعامل

(١) النشر المهجري (د . عبدالكريم الاشتر) : ١٩٢ •

واحد ، هو حب اللغة ، والغيرة عليها •

فالمحافظون يرون في موقفهم انه طبيعي تحتّمه عليهم
الرغبة في الاحتفاظ بنقاء اللغة وصفائها ، ومنع تسرب
عوامل الفناء والفساد اليها •

والمجددون يرون في موقفهم ايضاً انه موقف طبيعي
يمليه عليهم حب اللغة ، والرغبة في أن تخضع لحياتهم ،
وتنمو بنموهم ، وتسير مع زمنهم وزمن من يأتي بعدهم •
بل (٢) انهم — أي المجددين — يعدون موقفهم من اللغة
هو المعبر عن حبها واحترامها ، وهو الدليل على الرغبة
في ان تظل موصولة الاسباب بالحياة •

اما موقف المحافظين فهو في نظر اصحاب التجديد
— وان كان الباعث عليه حسن النية ونقاء الغرض —
موقف يجلب للغة الدمار ، ويقضي عليها بالبوار •
والحقيقة ان امر اللغة لا يقوم على المحافظة التي

(٢) فيض الخاطر (احمد امين) : ١٧٣/٥ .

تفضي الى الجمود ، وتؤدي الى التحجر ، ولا يقوم على التجديد المطلق الذي يسمح بكل جديد ، ويفتح الباب لكل عوامل التطور والتغير ، وانما يقوم على ضرب من المحافظة المعقولة التي تضع اللغة « على الجادة الوسطى بين الجمود المانع من الحركة والتجديد ، والحياة النامية ، والفوضى او الا باحياة اللغوية القاتلة لخصائص اللغة ، المشوهة لها » (١) .

وحين عرض للعربية التطور ، وعراها شيء من التحول في اوائل العصر العباسي هب النقاد المحافظون يمنعون الجديد ، ويرفضون التطور ، ولا يقبلون شيئا منهما . ولقد سوغ لهم موقفهم هذا ما وقر في نفوسهم من « ان حماية اللغة لا تتم الا بثبوت صيغها ومفرداتها عند الحدود التي رسمها عرب الجاهلية ، وعرب الحقبة المبكرة من العصور الاسلامية ، وهي الحقبة التي انتهت

(١) خصائص العربية (محمد المبارك) : ٦٧

بالتصف الاول من القرن الثاني « (١) •

لقد قرر هؤلاء النقاد أن اللغة ليست إلا ما جمعه علماء القرنين الاول والثاني من مفردات واساليب ، وان على الناس ان يقفوا عند هذا المجموع ، فلا يصح لهم ان يزيّدوا عليه ، أو ينقصوا منه ، وقد صرح ابن فارس بذلك فقال : « ولعل ظانا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة ، وفي زمان واحد • وليس الامر كذا ، بل وقف الله جل وعز آدم عليه السلام على ما يشاء ان يعلمه اياه مما احتاج الى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الانبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً ما شاء الله ان يعلمه حتى انتهى الامر الى نبينا محمد (صلعم) فآتاه الله جل وعز من ذلك ما لم يؤتة احداً قبله تماماً على ما احسنه من اللغة المتقدمة ،

(١) النقد اللغوي عند العرب (د • نعمة رحيم

العزاوي) : ٤٤٣ •

ثم قر الامر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت ، فان
تعمل اليوم لذلك متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه
ويرده «^(١) وقال : « ليس لنا اليوم ان نخترع ، ولا
ان نقول غير ما قالوه ، ولا ان نقيس قياساً لم يفيسوه ،
لان في ذلك فساد اللغة ، وبطلان حقائقها » ^(٢) .

وحين اصدر ابن فارس ومشايعوه من المحافظين
هذا القرار ، لم يخطر لهم ان اللغة لا تتوقف عن النمو ،
وأن مظاهر الحضارة الفكرية والمادية التي كان العصر
الذي يعيشون فيه ، يزخر بها ، كانت تستدعي او ضاعاً
لغوية جديدة ، تعبر عنها ، وتستوعبها ، وهذا ما حدث
فعلاً ، فقد مضت اللغة في طريق النمو ، غير عابئة بقرار
ابن فارس ، لانه قرار يخالف طبائع الاشياء ، ولان من
غير المعقول ان يكون كلام الناس — في عصر ابن فارس
— بمفرداته وتراكيبه واردا عن العرب . ^(٣)

(١) الصاحبى (ابن فارس) : ٣٣ .

(٢) نفسه : ٦٧ .

(٣) في اصول النحو (سعيد الافغانى) : ٧٩ .

وآمن بنظرة ابن فارس هذه عدد من النقاد الذين سبقوه وعاصروه ، والذين جاءوا بعده ، منهم ابن قتيبة (ت ٢٧٥ هـ) والامدي (ت ٣٧١ هـ) والزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) والحريري (ت ٥١٤ هـ) .

وفي عصرنا الحاضر تزلت عدد من النقاد ايضا ، فسلكوا سبيل ابن فارس ومؤيديه وضيّقوا على المنشئين مجال القول ، وحظروا عليهم مفردات واساليب بحجة انها لم تسمع عن العرب ، او لم تكن مما وعته المعجمات . ومن هؤلاء ابراهيم اليازجي وعبد القادر المغربي والكرملي ومصطفى جواد وكمال ابراهيم وغيرهم كثير .

فالتزمت في النقد اللغوي ، اذن مذهب له اتباعه ومؤيدوه في القديم وفي الحديث ، وسنحاول في هذا البحث ان نحدد سمات هذا المذهب وخصائصه ، والاطار التي تترتب عليه ، كما نبين مدى نجاحه او اخفاقه .

ويتجلى التزمّت في المظاهر الآتية :

(١) التمسك بالأفصح :

لم تكن القبائل العربية في نظر المتزمتين القدامى سواء من حيث الفصاحة ، بل كان بعضها ينعت بالفصاحة ، فيؤخذ بكلامه ، ويقبل ما يروى عنه أو يعزى إليه من صيغ واستعمالات ، وكان بعضها مطرحا لا ينقل أهل اللغة عنه ، ولا يثقون بكلامه أو استعمالاته •

لقد أدت هذه النظرة إلى إهدار كثير من كلام العرب ، ونبذه ، وعدم السماح للمنشئين بمجاراته ، والنسج على منواله •

قال ابن جني عن الأصمعي ، : « ومعلوم كم قدر ما حذف من اللغة فلم يثبت ، لأنه لم يقو عنده » (١) •

وقال أبو حاتم : « كان الأصمعي يقول أفصح

(١) الخصائص (ابن جني) : ٣ / ٣١١ •

اللغات ، ويلغي ما سواها ، وابو زيد يجعل الشاذ
والفصيح واحداً ، فيجيز كل شيء قيل • قال : ومثال
ذلك ان الاصمعي يقول حزني الامر يحزني ، ولا
يفول : أحزني • قال ابو حاتم : وهما جائزان ، لان
القراء قرأوا (لا يحزنهم الفرع الأكبر) و (يحزنهم)
جميعا بفتح الياء وضمها « (١) •

وقد نهج نهجَ الاصمعي عدد من النقاد القدامى ،
فخربوا صيغاً ، وانكروا مفردات لالشيء الا لانها
رويت عن قبائل لا يثقون بفصاحتها ، او لانها ليست من
الشائع او المعروف في كلام العرب •

وكان ابن قتيبة ممن سلك سبيل التشدد ،
واقتنى أثر الاصمعي ، فحكم بالخطأ على اشياء كثيرة
صحيحة • (١) وقد رد ابن السيد البطليوسي على ابن
قتيبة في اشياء جعلها من اللحن ، اعتمادا على ما رواه

(١) المزهر (السيوطي) : ٢٣٢/١ ، ٢٣٣ •

(٢) الاقتضاب (البطليوسي) ق ٢١٦

ابو حاتم عن الاصمعي ، وكان ينبغي ان يقبلها لان غير
الاصمعي من اللغويين قد اجازوها ، او كان ينبغي له
« الا يحمد شيئاً وهو جائز من اجل انكار بعض
اللغويين له » (٢) .

وكان ابو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) من المتزمتين
الذين تمسكوا بالافصح ، كما كان يعيب ابا زيد
الانصاري لتسامحه ، وتجويزه الشاذ والقليل ، ويقول
عنه : « كان ابو زيد يتسع في اللغات . . . وكل ما
اتسع في اللغات فهو شر » (٣) .

وتشدّد الحريري في كتابه (درة الغواص) ،
وتمسك بأفصح اللغات ايضاً ، وحكم على كثير من
الاستعمالات بالخطأ ، فرد عليه ابن بري (٥٨٢ هـ) ،
والشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) وأثبتا ان العرب قد

(١) نفسه : ١٠٦

(٢) طبقات الزبيدي : ١٨٢

تكلمت بتلك الصيغ والاستعمالات (١) .

واذا شئنا امثلة تدل على مبلغ تزلت هؤلاء
 اللغويين فهي كثيرة ، منها ان الاصمعي كان ينكر
 (زوجه) ويقول (زوج) ، ويحتج بقوله تعالى :
 (اسكن انت وزوجك الجنة) . والصحيح ان كلتا
 الصيغتين فصيحة ، فقد كان ابن السكيت
 (ت ٢٤٦ هـ) يقرهما . (٢) كما ان ابن منظور رمى
 الاصمعي بالتشدد ، وقال عنه « واحتج - اي
 الاصمعي - بقول الله عزوجل : اسكن انت
 وزوجك الجنة ، فليل له : نعم ، كذلك قال الله تعالى ،
 فهل قال عزوجل : لا يقال : زوجه ؟ وكانت من الاصمعي
 في هذا شدة وعسر » (٣) .

ومنها ان الزبيدي يخطيء من يقول (ميناء)

(١) النقد اللغوي عند العرب (د . نعمة رحيم

العزاوي) : ٤٦٣ .

(٢) المزهر : ٢١٤١

(٣) اللسان : (زوج) .

بالماء ، ويرى ان (مينا) بالقصر افصح ^(١) . ويخطيء
 الزبيدي ايضا من يقول : (ذبابة) لواحد (الذبان)
 ويرى ان الافصح (ذباب) وجمعه (ذبان) مثل
 (غراب) و (غربان) . ويذهب ابن مكى الصقلي
 ت ٥٠١ هـ الى ان بعض اللغويين اجازوا ذلك ^(٢) .
 ويرفض الزبيدي ان يقال (غربال) للمنخل الواسع
 الخصاص ، ويرى ان يقال له : (مغربل) ، على حين
 ان الشهاب الخفاجي اجاز ذلك واستشهد عليه بقول
 الحطيئة :

أغربالاً اذ استودعت سرا

وكانوا على المتحدثين ^(٣)

ومنها ان الحريري يخطيء من يقول : « قدم

(١) لحن العوام (الزبيدي) : ٨٧ ، ٨٨

(٢) نفسه : ٣١ ، وينظر : تثقيف اللسان (ابن مكى
 الصقلي) : ١٩٤ .

(٣) لحن العوام : ٢٨٤ وينظر : شفاء الغليل :
 (الخفاجي) : ١٩٤ .

الحاج واحدا واحدا واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة
اربعة » ويرى ان يقال : « جاؤوا أحاد وثناء وثلاث
ورباع او يقال جاؤوا موحد ومثنى ومثلث ومربع »^(١)
ويخطيء الحريري ايضا من يقول : « اصفر لونه من
المرض ، واحمر خده من الخجل » ويرى ان الصواب
ان يقال : « اصفار واحمار » ، ذلك لانه « انما يقال
اصفر واحمر ونظائرهما في اللون الخالص الذي قد
تمكن واستقر وثبت واستمر ، فاما اذا كان اللون عرضاً
لسبب يزول ، ومعنى يحول ، فيقال فيه : اصفار
واحمار ، ليفرق بين اللون الثابت ، والمتلون العارض ،
وعلى هذا جاء في الحديث : فجعل يحمار مرة ويصفار
اخرى »^(٢)

وجرى كثير من اللغويين المحدثين على مذهب
المتزمتين ، فردوا كثيراً من الصيغ والمفردات ، لانها لم

(١) الاخطاء الشائعة (محمد علي النجار) : ١٩

(٢) درة الغواص : ١٥

تنقل عن فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم •
وكان اليازجي في مقدمة هؤلاء اللغويين ، إذ كان
زميتاً متشدداً ، يؤثر الافصح وينقر عنه ، ويحكم بالخطأ
على ما سواه ، فتعرض بسبب ذلك لنقد معاصريه ، الذين
اجازوا كثيراً مما منعه ، ووصمه باللحن او الخطأ •

كما كان الشيخ محمد علي النجار والاستاذ كمال
ابراهيم والدكتور مصطفى جواد يسلكون هذه السبيل ،
ويقضون بالخطأ على عدد كبير من المفردات
والاستعمالات ، لان في اللغة ما هو اعرف منها وافصح •
والذي نلاحظه ان هؤلاء اللغويين المحدثين ينقل بعضهم
عن بعض ويتابع الخالف منهم السالف ، تماماً كما فعل
المترمتون القدامى ، عندما وقفوا عند اقوال الاصمعي
ومعاصريه ممن كانوا يذهبون مذهبه في التشدد
والتزمت ، فاقوال اليازجي وتصويباته تتردد عند كمال
ابراهيم ومصطفى جواد والشيخ محمد علي النجار •
ومن الامثلة على تمسك المترمتين المحدثين

بالافصح ، وتجا فيهم عما سواه ، ما نذكره هنا على سبيل
التمثيل •

فاليازجي يخطيء من يقول : (يسعى فلان لنوال
بغيته) اي ادراكها ، لان (النوال) هو العطاء ، ويرى
ان الصواب ان يقال : (لنيل بغيته) • (١)

ويبدو ان الذي يقرره اليازجي هو الكثير المعروف
في كلام العرب، اما التعبير الذي خطاه فقليل، الا ان العرب
تكلمت به والدليل على ذلك قول الحماسي :

أرى الناس يرجون الربيع وانما

ربيعي الذي أرجو نوال وصالك

لئن ساءتي ان قلتني بمساءة

لقد سرنني اني خطرت ببالك (٢)

(١) الاخطاء اللغوية الشائعة (محمد علي النجار) :
٣٣ ، ٣٤ •

(٢) الاخطاء اللغوية الشائعة (محمد علي النجار) : ٣٤

ويخطيء اليازجي كذلك قولهم : (ما رأيت من
ذي قبل) ويرى ان صوابه : (ما رأيت من قبل) • وما
يراه اليازجي هو الافصح دون شك ، الا ان الاستعمال
الذي منعه يمكن قبوله ، لوروده عن العرب • جاء في
اللسان » والعرب تصل كلامها بـ (ذي) و (ذو) فتكون
حشوا ولا يعتد بها « (١) •

ومما يخطئه اليازجي ايضا كلمة (الحماس) ويرى
ان صوابها (الحماسة) ، والذي رفضه اليازجي ليس
بخطأ ، الا انه قليل فقد جاء في (التاج) : « والحماس
كسحاب الشدة والمنع والمحاربة » (٢)

وينكر اسعد داغر قولهم : (فلان كسول) ويرى
ان الصواب ان يقال (فلان كسل) او (كسلان) ، اما
(كسول) فهي : « وصف للمرأة المترفعة التي لاتكاد

(١) نفسه ٣٢

(٢) نفسه ٣١

تبرح مجلسها « (١) وما انكره داغر مما تكلمت به
العرب ، فقد جاء في اللسان لا حيحة بن الجلاح :
فلا وأبيك ما يغني غنائي

من الفتيان زميل كسول (٢)

وكان مصطفى جواد يشبه لغات العرب بالسوان
الطعام فمنه النفيس ومنه الخسيس ويرى ان ليس من
المعقول ان تقبل على الخسيس فنملاً منه البطون •
وله تصويبات نزع فيها الى الافصح ، منها انه
ينكرا استعمال (بعض) للدلالة على الجمع ، ويرفض
قولهم مثلاً (رأيت بعض الطلاب واقفين عند باب الكلية)
ويرى ان الوجه ان يقال : (رأيت بعض الطلاب واقفا
عند باب الكلية) ، ذلك لأن (بعض) استعملت في
القرآن الكريم ، وفي كلام الفصحاء بمعنى الواحد ، قال
تعالى :

(١) نفسه ٤٥

(٢) نفسه ٤٥

« واذا اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما
نبأت به » • والذي انكره مصطفى جواد مما تكلمت به
العرب ، الا انه قليل ، من ذلك قول جرير :

ألا ليت بعض الراحلين تحملوا

لقد قاس الادباء منذ اوائل العصر العباسي ، وما
زالوا يقاسون تزلزلت عدد من النقاد وتمسكهم بالافصح ،
وقضي عليهم الا يستفيدوا من ثراء اللغة ، وتعدد
لهجاتها ، في حين ان الشعراء الاوائل كانوا يستعملون
اللهجات جميعا ، دون التفريق بين الفصح منها
والافصح ، مثال ذلك قول الفرزدق :

كلاهما حين جدّ الجري بينهما

قد اقلعا وكلا اتفهما رابي

« نقوله كلاهما قد اقلعا ضعيف ، لأنه حمل على المعنى ،
وقوله : كلا اتفهما رابي قوي ، لانه حمل على

اللفظ « (١) »

وقول ابن قيس الرقيات :

لئن فتنتني لهي بالامس افتنت

سعيدا فاضحي قد قلى كل مسلم

لأن « فتن أقوى من أفتن ، حين إن ولاصمي لما أنشد
هذا البيت شاهداً لأفتن قال : ذلك مُحْنٌ ولست آخذاً
بلغته • وقد جاء به رؤية إلا أنه لم يضمه الى غيره قال :

يعرض اعراضاً لدين المفتن « (٢) »

ويبدو ان الشعراء الاوائل كانوا يحترمون اللهجات
جميعاً ، ويحرصون على ألاّ يفرطوا بشيء منها ، كما
انهم كانوا يرغبون في توسيع مجال القول على انفسهم ،
وذلك بالاستفادة من ثراء اللغة ، وتعدد لهجاتها
واساليبها • وقد فطن ابن جني الى ذلك وعلمه فقال :

(١) الخصائص : ٣/٣١٤ .

(٢) نفسه : ٣/٣١٥ .

« قد يستعملون من الكلام ما غيره أثر في نفوسهم منه ،
سعة في التفسير ، وارخاء للتنفس ، وشحا على ما
جشموه فتوا ضعوه ، ان يتكارهوه فيلغوه ويطرحوه ،
فاعرف ذلك مذهباً لهم ، لا تطعن عليهم متى ورد عنهم
شيء منه » (١) . وقال في موضع آخر : « ووجه الحكمة
في الجمع بين اللغتين القوية والضعيفة في كلام واحد ،
هو ان يروك ان جميع كلامهم — وان تفاوتت احواله
فيما ذكرنا وغيره — على ذكر منهم ، وثابت في نفوسهم ،
نعم ، وليؤنسوك بذلك : حتى انك اذا رأيتهم وقد
جمعوا بين ما يقوى ويضعف في عقد واحد : ولم يتحاموه
ولم يتجنبوه ، ولم يقدح اقواهما في اضعفهما كنت
اذا افردت الضعيف منهما بنفسه ، ولم تضممه الى القوى
فيتبين به ضعفه ، وتقصره عنه ، آنس به واقل احتشاما
لاستعماله » (٢) .

(١) الخصائص : ٣١٩/٣ .

(٢) نفسه : ٣١٧/٣ .

فابن جني هنا يوسع على المنشئ ، ويمنحه حرية واسعة ، ويبيح له ان يتعامل مع اللهجات على اساس انها في مستوى واحد من الفصاحة ، وان يستعمل منها ما يشاء اسوة بالقدماء من شعراء العربية ، الذين لم يفرقوا بين فصيح وافصح واستعملوا من اللهجات ما وصفه المتزمتون فيما بعد بالضعف او عدم الفصاحة •

واذا كان الفصحاء من شعراء العربية قد احترموا اللهجات جميعا ، وكان ابن جني قد اقرهم على ذلك ، ورأى فيه عملا من شأنه توسيع طرائق التعبير باللغة ، فما احرى نقادنا المتزمتين ان يرجعوا عن موقفهم ، ويحترموا اساليب ومفردات تكلمت بها العرب ، ويقلعوا عن تحريمها ، او وصفها بالضعف •

واذا كان الفرزدق قد استعمل مثلا (كلاهما اقلعا) فليس من حق ناقد متزمت اليوم ان يرمي بالخطأ ، او مجانية الفصيح من يقول : (كلاهما نجحا) ويحتم عليه ان يقول : (كلاهما نجح) •

واذا كان بنو اسد جميعا يقولون (ريانة وعطشانة
ونشوانة) فان من حقنا ان نجري على لغتهم ، ونستعمل
هذه الاوصاف دون أن نخش نقداً او معارضة •

واذا كان في اللغة مثلاً (حزنه الامر) و (أحزنه)
فليس لنا قد ان يحرم الصيغة الثانية ، بحجة انها ضعيفة
او قليلة •

واذا كان فريق من النحويين — منهم ابن كيسان
فيما نقله الرضي الاسترا بادي عنه في شرح الكافية —
يجيزون جمع (سوداء) و (بيضاء) و (حمراء) على
(سوداوات وبيضاوات وحمراوات) لان في كلام العرب
ما يصح هذا الجمع ، فليس للناقد المتزمت ان يحرم هذه
الصيغ ، ويدعو الى جمع الصفات المذكورة على وزن
(فَعْل) فقط ، فيقال : بيض وسود وحمر • وليس له
ايضا ان يرفض جمع (حسناء) على (حسناوات) لانها
من هذا الباب ، ولانه جمع سائر على الالسنه والاقلام •
وليس مقبولا ايضا ان تثقل على طلابنا في المرحلة

المتوسطة ، وهم مبتدئون بتعلم النحو ، فنفرض عليهم
عليهم ان يستعملوا (اي) الموصولة مبنية على الضم في
حال اضافتها وحذف صدرصلتها ، وذلك بحجة ان هذا
هو الافصح ، فقد روي عن بعض العرب انهم كانوا
يعربون (اي) في جميع احوالها ، كما ان الآية التي يحتاج
بها على بناء (اي) وهي (لنزعن من كل شيعة ايهم
اشد) قد قرئت باعراب (اي) ونصبها على المفعولية •
ان التمسك بالافصح مبدأ يضر باللغة ، ويحرمها
صيغاً واساليب كثيرة ، ويجعلها في نظر المتكلم وعرة
الجانب ، عزيزة المنال •

٢ - رفض القياس :

القياس « استنباط مجهول من معلوم ، فاذا اشتق
اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة ، على نسق صيغة
مألوفة في مادة اخرى سمي عمله هذا قياسا » (١) •

(١) من اسرار اللغة (د . ابراهيم انيس) : ٩ •

وعلى هذا فالقياس « هو مقارنة كلمة بكلمات او صيغ بصيغ او استعمال باستعمال رغبة في التوسع اللغوي » (١) . ولهذا عدَّ اللغويون المحدثون القياس احد « المنابع او الروافد التي تمد اللغة بكل جديد مستحدث من الكلمات والاساليب » (٢) .

فالذي عليه اللغويون المحدثون ان اللغة مهما بلغت من الثراء لاغنى لها عن القياس ، لتوصل به الى كلمات وصيغ جديدة تستدعيها مواقف الاستعمال المتجددة على الدوام .

غير ان اللغويين المتزمتين ، قدامى ومحدثين ، رفضوا ان تستفيد اللغة من هذه الخصيصة ، ولم يجيزوا ان يستغل القياس فتسج صيغة على صيغة او ينطق بما لم يرد قياسا على ما ورد .

فالمتزمتون القدامى رفضوا كلمة (جائد) التي

(١) نفسه .

(٢) نفسه : ٧ .

اشتقها المتنبي من (جاد) فقال :

فدى من على الغبراء اولهم أنا

لهذا الابي الماجد الجائد القرم

لقد علق المتزمتون على هذا البيت بقولهم : « لم يحك عن العرب الجائد وانما المحكي عنهم رجل جواد وفرس جواد ومطر جواد » (١) .

ولا وجه لرفض (جائد) وحرمان اللغة منها ، لانها اسم فاعل من فعل ثلاثي هو (جاد يجود) من باب (قال يقول) واسم الفاعل من الثلاثي المجرد يأتي بكثرة على « فاعل » . وقد اقر القاضي الجرجاني هذه الكلمة وقال : « هذا الباب يستغني بالقياس عن السماع لاطراده واتساق امره على الاعتدال فكل فعل في الكلام يقتضي التصريف الى فاعل ومفعول » (٢) .

(١) الوساطة (القاضي الجرجاني) : ٤٧٠

(٢) الوساطة (القاضي الجرجاني) : ٤٧٠

وفي عصرنا الحاضر رفض المتزمتون كلمات اخرى
يجيزها القياس ، من ذلك رفضهم كلمة (امجاد) وهي
جمع (مجد) ورفضهم كلمة (زهور) وهي جمع
لـ (زهر) فقد قالوا عن الاولى : « ويذكرون الامجاد
جمعا للمجد ولم ار المجد مجموعا » (١) .

وقالوا عن الثانية : « والزهور لم تذكر في المعجمات
جمعا للزهارو الزَهَر وانما نرى فيها الازهار والازاهير،
ومن البين ان الازاهير جمع الازهار » (٢) . وقالوا « ان
العرب على كثرة مضطربهم في القول ، وسعة متصرفهم ،
وحاجتهم الى جمع الزهور لم نرهم فيما وصلنا اتوا
بالزهور ، وانما أتوا بالأزهار فعلمنا أنهم ا طرحوه عن
عمد واختيار وكان علينا ان نتابعهم في هذا الاهمال
والاستفناء عن الزهور بالازهار » (٣) .

(١) لغويات (محمد علي النجار) : ٤٦

(٢) نفسه : ٤٥

(٣) نفسه : ٤٦

والحقيقة ان الكلمتين شائعتان على اللسان ، كما
ان القياس يجيزهما ، فلا وجه لرفضهما وتخطئة من
ينطق بهما • فالعرب تقول فرخ وافراخ ، وزند وازناد ،
وبيت وايبات ، وجد واجداد • وهذه تبيح لنا ان نجمع
(مجد) على (امجاد) •

كما ان العرب تقول : قلب وقلوب وسيف وسيوف
وسقف وسقوف ، وهذه الكلمات تبيح لنا نجمع (زهر)
على (زهور) •

وكمار فض المتزمتون المحدثون كلمتي (امجاد)
و (زهور) رفضوا كذلك كلمة (شغوف) فلم يجيزوا
ان نقول مثلاً : (ان محمداً شغوف بالقراءة) ورأوا أن
الصواب ان يقال (ان محمداً مشغوف بالقراءة أو شغف
بها)^(١) • وللکلمة نظائر تجيز لنا ان نقبلها ، فقد قيل
غضوب وغضب ، وطروب وطرب ، وعجول وعجل •

(١) لغويات : ٥٤ •

ورفض المتزمتون المحدثون كلمة (هاو) بمعنى (محب) كما رفضوا جمعها على (هواة) وزادوا فرضوا (الهواية) ايضا ، ورأوا ان يقال (هَوِيَّ) بدل (هاو) و (هَوِيَّة) بدل (هاوية) و (هَوُون) و (هَوِيَّات) بدل (هواة) و (هاويات) (١) .

والحق ان الاستعمال الحديث صائب ، ولا غبار عليه ، فكلمة (هاو) مأخوذة من الفعل (هَوِيَّ) بمعنى (أحب) و (اشتهدى) وهي مقيسة على (راضٍ) و (وخاشٍ) و (وال) من رضي وخشي وولي وغير ذلك . كما ان الجمع قياسي ايضا وله نظائر فمثل (هاوٍ هواة) : رامٍ رماة وداعٍ دعاة وساعٍ سعاة وغير ذلك كثير .

ان الامثلة القليلة التي ذكرناها تكفي للتدليل على ان المتزمتين يرفضون كل كلمة أو صيغة يفرزها القياس ، وذلك لأنهم قدامى ومحدثين يقفون باللغة عند المدون منها فحسب ، ولا يبيحون للمتكلمين ان يدخلوا فيها ما لم

(١) الاخطاء اللغوية الشائعة : ٤٢ ، ٤٣

يرد في المعجمات وكتب اللغة •

٣ - رفض الاشتقاق :

الاشتقاق وسيلة أخرى من وسائل نمو اللغة « والصلة بين الاشتقاق والقياس وثيقة ، وذلك لأن الاشتقاق هو عملية استخراج لفظ من لفظ ، او صيغة من أخرى ، والقياس هو الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية ، وهو المبرر الذي تستند عليه مثل هذه العملية الاشتقاقية كي يصبح المشتق مقبولا معترفاً به بين علماء اللغة » (١) •

والمشتقات في اللغة لا تنشأ في وقت واحد ، وانما تنشأ حسب الحاجة اليها وقد يسبق بعضها بعضاً في الوجود ، فاذا وجد فعل او وجد مصدر مثلاً ، فليس معنى ذلك ان كل ما يمكن ان يشتق منهما قد وجد معها فعلاً ، وقد نطقت به العرب ، فقد ينطق الناس الفعل ، ثم يمضي زمن طويل قبل ان يشتقوا منه اسم الفاعل او اسم

(١) من اسرار اللغة : ٤٦ •

المفعول ، وقد يوجد المصدر ثم يظل في اللغة وحده ،
حتى تدعو الحاجة الى اشتقاق فعل منه • وهكذا
فالمشتقات تنمو وتكثر ، ويلجأ اليها للتعبير عما يجد من
معانٍ ، ويستحدث من شؤون •

وهذا يعني ان كثيراً من الصيغ والالفاظ التي
يجوز لنا اشتقاقها لانجدها في نصوص لغوية قديمة ،
غير ان انعدام الشاهد على هذه الصيغ لا يقدر في
فصاحتها •

فالاشتقاق في اللغة اذن « همو عماد حياتها ، واقوم
مقوم من مقوماتها ، او بعبارة اخرى هو حياتها ، وعليه
يتوقف ارتقاؤها او انحطاطها ، تقدمها او تأخرها »^(١)

واللغة الحية النامية هي اللغة الاشتقاقية ، بل ان
« ارقى اللغات واكثرها حياة هي ما كان الاشتقاق فيها
اتم منه في سواها »^(٢) • واللغويون المحدثون يربطون

(٢) فلسفة اللغة العربية وتطورها (جبر ضومط) : ١١٨

(٢) نفسه •

بين الاشتقاق وحياة اللغة — كما تقدم — « فان كان
الاشتقاق مرتقياً نشيظاً كثرت مواليد اللغة وعاشت ،
والا قلت وماتت » (١) ♦

والاشتقاق اما ان يكون من اسماء الاحداث
(المصادر) واما أن يكون من الجوامد ، واما ان يكون
من الافعال ، كأن تشتق من فعل معين اسم فاعل او اسم
مفعول او وصفاً او ان تأخذ من الفعل المجرد صيغة اخرى
مزيدة ♦ وهذه الانواع كلها عرفتة العربية وحفلت به
كتب اللغة والنحو ♦

وعلى الرغم من ان حياة اللغة تتوقف على الاشتقاق ،
فان النقاد المتزمطين أبوا الافادة منه ، وقرروا ابقاء لغتنا
العربية على ما كانت عليه في الفاظها وعباراتها وهيئات
تراكيبها ، ولم يسمحوا بزيادتها عن طريق الاشتقاق ♦
ففي القديم حاول بشار ان يفتح للشعراء باب
التصرف في اللغة ، فاستحدث الفاظاً ، وابتكر مشتقات ،

(١) فلسفة اللغة العربية وتطورها (جبر ضومط) : ١١٨

لم تتكلم بها العرب ، فرفضها النقاد ، وعدوها من
اخطائه ، قال بشار :

والآن اقصر عن سمية باطلا

واشار بالوجل على مشير

وقال :

على الغزلى مني السلام فربما

لهوت بها في ظل مخضلة زهر

فقال الاخفش : « لم يسمع من الوجل والغزل
(فَعَلَى) ، وانما قاسها بشار ، ليس هذا مما يقاس ،
انما يعمل فيه بالسمع » (١) .

وبشار لم يخطئ ما دام قد عمد الى مادة لغوية
موجودة فاشتق منها لفظا على هيئة وزن موجود ايضا .

وكان المتنبى قد اشتق بعض الالفاظ ، فانكرها

(١) الموشح (المرزباني) : ٣٨٥

المتزمتون ، وحكموا عليها بالخطأ قال المتنبي :

العارض الهتن بن العارض الهتن

فقال ابن القطاع : « غلط المتنبي في

هذا البيت وكرر غلطه اربع مرات وقد اجمع العلماء ان اسم الفاعل من هتن هاتن ولا جاء عن احد من العلماء الهتن ولم يذكره احد من جميع الرواة حتى نبهت عليه » (١) .

والمتنبي لم يخطئ هنا ايضا ، فان (الهتن) التي كررها اربع مرات لم يأت بها على خلاف ما تسمح به مقاييس اللغة ، بل انه اشتقها اشتقاقاً قياسياً ، واتي بها على اشهر اوزان اللغة ، واشيعها ذكراً . فلفظ (هتن) بوزن (فعل) وهو احد اوزان المبالغة المعروفة التي يؤتى بها للدلالة على ان الموصوف مكثر من فعل مدلولها . وما دامت المادة موجودة في اللغة ، والوزن

(١) شرح العكبري : ٢١٧/٤ .

مقررأ في استعمالاتها ، فان الشاعر لم يخطئ فيما قاله •
واصبحت حاجة الادباء في العصر الحديث الى الاشتقاق
اكثر من حاجة اسلافهم ، لتطور الحياة ، وكثرة ماجد
فيها من شؤون مادية ومعنوية ، الا ان المتزمتين الذين
يريدون ابقاء اللغة على ما هي عليه ، رفضوا ما اشتقه
الادباء من صيغ والفاظ ، وعدوها من الخطأ • والامثلة
على اشتقاقات المحدثين كثيرة ، نجتزئ ببعضها •

يقول الادباء اليوم : (اعتنق فلان المذهب) ،
فيخطئ المتزمتون لفظ (اعتنق) ويقترحون (اتحل)
مكانه (١) •

واللفظ صحيح ، فهو مشتق من (العنق) وهو
اسم جامد واشتقاق الافعال من الجوامد امر معروف ،
والامثلة عليه كثيرة • فقد اشتقت العرب من (الحجر)
استحجر ، فقالت (استحجر الطين) ، واشتقت
(استنوق) من (الناقة) فقالت : (استنوق الجمل) •

(١) اغلاط الكتاب (كمال ابراهيم) : ٨

ويقول الادباء (تكاتفوا على كذا) فيأبى المترمتون
هذا الفعل ، ويخطئون من ينطق به • والفعل صحيح ،
فهو مشتق من (الكتف) على طريقة العرب في الاشتقاق
من الجوامد ، كما ان لهذا الفعل نظيرا ، فقد قالت العرب
(تظاهر القوم) بمعنى تعاونوا وهو مشتق من (الظهر) •
والحقيقة ان (تكاتف) ادل على التعاون من (تظاهر)
لان « وضع الكتف للكتف في التعاون اقرب للفهم ،
واكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر » (١)

ويقول الادباء وارباب الدواوين : (خابره) بمعنى
(كاتبه) أو (فاوضه) ويقولون (مخابرة) بمعنى
(مكاتبة) و (مفاوضة) فيخطئهم المترمتون ، ويقولون
إن (المخابرة) في اللغة تعني (المزارعة) • (٢)

واللفظان صحيحان ايضا ، لان الفعل (خابر)
مأخوذ من (الخبر) ، وقد اشتقت العرب من (النبأ) :

(١) فلسفة اللغة العربية وتطورها : ٢٩ .

(٢) الاخطاء اللغوية الشائعة : ٣٧ .

(نَاباً) • والخبر والنبا بمعنى واحد ، فاذا كان الاشتقاق من احدهما صحيحاً ومقبولاً فان الاشتقاق من الآخر مقبول ايضاً •

ويقول الادباء (تطور الامر) فيخطئهم المتزمتون ، ويقولون ان الفعل (تطور) لم يرد في لغة العرب ، والاولى ان يقال (تبدل) او (تغير) • واستنجد بعض المتزمتين بالمجامع اللغوية لتضفي المشروعية على هذا الفعل ، وتأذن للادباء باستعماله (١) •

وما تحريم المتزمتين هذا اللفظ الا تضيق لما وسعه العرب ، فكلمة (تطور) اشتقت في هذا العصر من كلمة (الطور) بمعنى (التارة) او (الحال) للتعبير عن معنى جديد غير التبدل والتغير ، وهو الانتقال من طور الى طور • كما ان اشتقاقها جاء على وزن صحيح معروف هو (تفعل) • ما دام اصل اللفظة عربياً والوزن عربياً ، والمعنى لا يؤدي بلفظ آخر ، فأى حرج في هذا

(١) اغلاط الكتاب : ٨

الاشتقاق ؟ •

ويرفض المتزمتون كلمة (مواطن) بحجة ان (الوطن) لم تشتق العرب منه شيئا • (١) والحق ان الاشتقاق صحيح ، وله نظائر في اللغة فقد اشتقوا (آكله) و (جالسه) اي شاركه في الاكل والجلوس ، وعلى ذلك فان (واطنه) لفظ صحيح وعربي ، ومعناه شاركه في الوطن ، كما ان (مواطن) صحيح ايضا فهو اسم فاعل قياسي من الفعل (واطن) •

ويأبى المتزمتون قول الادباء : انطلت عليه (الحيلة) ، بمعنى جازت عليه ، ويقولون : « لم ينقل شيء من ذلك عن العرب ، وان كان له وجه في الاشتقاق » (٢) • وما دام الفعل (طلى) موجودا في اللغة ، فاي ضير في ان نشق منه (انطلى) ، لا ضير في ذلك ، الا ان المتزمتين يسوؤهم ان نستفيد من طواعية اللغة ومرونتها ، فيغنى

(١) اغلاط الكتاب : ٨ •

(٢) لغة الجرائد (ابراهيم اليازجي) : ٢٤ •

بذلك متنها ، وتزداد ثراء على ثرائها في المفردات والتراكيب •

٤ - رفض التطور الدلالي :

لقد مر بنا ان كل لغة يعرفوها مع الزمن شيء من التبدل ، وذلك لصلتها الوثيقة باحوال متكلميهها ، وتؤكد هنا هذا المفهوم فنقول : ان اللغة كاي ظاهرة اجتماعية « عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : اصواتها وقواعدها ومنتها ودلالاتها •

وان تطورها هذا لا يجري تبعاً للاهواء والمصادفات او وفقاً لارادة الافراد ، وانما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة مطردة النتائج ، واضحة المعالم ، محققة الآثار لا يد لاحد على وقف عملها ، او تغيير ما تؤدي اليه ، فليس في قدرة الافراد ان يوقفوا تطور لغة ما ، او يجعلوها تجمد على وضع خاص ، ويسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنة التطور الطبيعي » (١) •

(١) اللغة والمجتمع (د . علي عبدالواحد وافي) : ٩١ .

وليست العربية في هذا الشأن — كما قلنا — بدعاً
من اللغات ، ولذا عرض لها التطور ، فتناول مفرداتها
وتراكيبها ، الا ان النقاد المتزمطين نظروا الى التطور
الطبيعي على انه خطر تجب حماية اللغة منه •

ونحن لا نشك في ان حماية اللغة من أهم واجبات
الناقد اللغوي ، لان التفريط فيها ، وفتح الباب على
مصراعية امام عوامل التغيير معناه القضاء على اللغة •

الا ان الحماية لا تتم بتحجير اللغة ، وتجميدها ،
ومنع اي دم جديد ينساب في عروقها ، وانما تتم بضرب
من المحافظة المعقولة ، التي تسمح بقدر من التطور ، اذا
كان حسناً ، وقائماً على اسس ومسوغات •

فلا بد لمن يتصدى لحماية اللغة من ان يدرك ان
اللغة كائن حي ، وانها اشبه بشجرة نامية ، تحتاج بين
الحين والآخر الى تجديد في غذائها ، وتشذيب لما يبس
وجف من اغصانها ، لتبقى حية سامقة ، وتظل قوية

مزهرة •

ولا بد لمن يتصدى لحماية اللغة من « التفريق بين ما هو خطأ وانحراف ، وما هو توليد وتجديد وتطور ، فكلاهما حدث جديد في اللغة ، وتبديل في بعض ظواهرها ، ولكن الخطأ تبديل يخالف خصائص اللغة ، وسنن نموها وناموس حياتها ، وقواعد فطرتها ويخل بنظامها . . . واما التجديد والتطور فهو تبديل واحداث يجرى وفقا لسننها وينساق مع فطرتها وينقاد لقواعدها ، ويوافق روحها وخصائصها » (١) •

ولا بد له اخيرا من ان يعترف بأن « اللغة كائن مرموق يستحيل وضعه في وعاء واحد او الحكم عليه ليسير في خط محدد » (٢) •

فان وضع الناقد اللغوي هذه امام عينيه ، لم يتردد في قبول بعض الظواهر التي تعرض للغة ، او تجد فيها ،

(١) خصائص العربية : ٦٧ •

(٢) اللغة والحضارة (د . مصطفى مندور) : ١٣٨ •

إذا كانت مما يتفق مع روحها ، وينسجم مع طبيعتها ،
وسنن التعبير بها •

ولكن المتزمتين لم يسلموا بهذه الحقائق ، فراحوا
يمنعون كل جديد ، حتى ان المتتبع لتاريخ اللغة ليحس
ان هناك لحظات كادت اللغة فيها تختنق ، ويدركها
العجز التام •

لقد كان المعقول ان يدقق النقاد فيما يعرض للغة ،
ليفرزوا ما هو خطأ وانحراف ، لا يمت الى روح اللغة ،
ولا يتفق مع فطرتها وخصائصها ، وما هو تطور
وتجديد ، تسمح به طبيعة اللغة ، وينقاد لنظامها
وقواعدها •

ومن التطور اللغوي الذي رفضه النقاد المتزمتون ،
قدامى ومحدثين ، ما يعرف بالتطور الدلالي •
ان التطور الذي يصيب المفردات لا يقتصر على
اصواتها واوزانها ، وانما يلحق معانيها ودلالاتها ايضا •
وقد عرض هذا التطور الدلالي للمفردات في عصور

العربية كلها ، الا ان اللغويين المتزمتين اعترفوا بما حدث
منه في العصور المبكرة ، ونعني بها عصور الاحتجاج التي
تنتهي في النصف الاول من القرن الثاني الهجرى ،
ورفضوا ما حدث منه بعد ذلك ، وعدوه من الخطأ او
اللحن •

فهذا ابن فارس مثلاً ينقل لنا جملة من الالفاظ التي
اكتسبت بعد الاسلام دلالات جديدة ، فيقول : « فكان
مما جاء في الاسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق
وان العرب انما عرفت المؤمن من الامان ، والايمان هو
التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافاً ، بها سمي
المؤمن بالاطلاق مؤمناً • وكذلك الاسلام والمسلم ، وانما
عرفت منه اسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من اوصافه
ما جاء • وكذلك كانت لاتعرف من الكفر الا الغطاء
والستر أما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقومٍ أبطنوا غير
ما اظهروه وكان الاصل من نافقاء اليربوع • ولم يعرفوا
في الفسق الا قولهم : فسقت الرطبة ، اذا خرجت من

قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش في الخروج
عن طاعة الله عز وجل • ومما جاء في الشرع الصلاة
واصله في لغتهم الدعاء • وقد كانوا عرفوا الركوع
والسجود وان لم يكن على هذه الهيئة • • •
وكذلك الصيام عندهم الامساك ، ويقول شاعرهم :

خيل صيام واخرى غير صائمة

تحت العجاج وخيل تملك اللجما

ثم زادت الشريعة النية ، وحظرت الاكل والمباشرة
وغير ذلك من شرائع الصوم • وكذلك الحج لم يكن
عندهم فيه غير القصد وسبر الجراح ، من ذلك قولهم •

واشهد من عوف حلولا كثيرة

يحجون سب الزيرقان المزغفرا

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج
وشعائره • وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها الا
من ناحية النماء وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه

لاطالة الباب بذكره « (١) •

ونص ابن فارس هذا يفصح عن ان التطور الدلالي بصيب المفردات ، او ان معاني المفردات تتغير من عصر لآخر ، للتعبير عما يجد من افكار واحوال • الا ان اللغويين المتزمتين اعترفوا بما تم من هذا التطور في عصور معينة ، ثم حرموه على العصور الاخرى •

فابن قتيبة مثلاً رفض التطور الدلالي الذي اصاب عدداً من المفردات ، ودعا الادباء الى استعمال تلك المفردات بالمسموع من معانيها فحسب ، فكلمة (الطرب) تخصصت دلالتها وصارت تطلق على الفرح دون الجزع ، الا ان ابن قتيبة رفض هذا التخصيص ودعا الى استعمال الكلمة بالمعنيين (٢) • وكلمة (المأثم) تخصصت دلالتها ايضاً وصارت تعني اجتماع الناس لمصيبة ، فوصم ابن قتيبة هذا التطور في دلالة الكلمة بالخطأ وقال : « انما

(١) الصاحبى (ابن فارس) : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ •

(٢) ادب الكاتب (ابن قتيبة) : ١٨

المأثم النساء يجتمعن في الخير والشر» (١) وكلمة
(القافلة) اتسع مدلولها واصبح اعم مما كان عليه فهي
تعني قديما « الرفقة العائدة من السفر » لأنها من (قفل)
اي رجع ، ثم صارت تعني الرفقة المسافرة او العائدة •
الا ان ابن قتيبة رفض هذا التعميم والاتساع في دلالة
الكلمة وحكم عليه باللحن (٢) •

وانتقلت دلالة بعض الكلمات وتغير مجال
استعمالها ، فوقف ابن قتيبة من هذا التطور موقفه من
تخصيص الدلالة او تعميمها ، ووصمه بالخطأ ايضا •
ومن امثلة انتقال الدلالة قوله : « من ذلك اشفار العين :
يذهب الناس الى انها الشعر الثابت على حروف العين
وذلك غلط ، وانما الاشفار حروف العين التي ينبت عليها
الشعر • والشعر هو الهدب » (٣) •

وقوله : « ومن ذلك الحشمة يضعها الناس موضع

(١) ادب الكاتب : ٢٠

(٢) نفسه •

(٣) نفسه : ١٧

الاستحياء ، قال الأصمعي : وليس كذلك انما هي بمعنى
الغضب « (١) •

وكان موقف الآمدي شبيهاً بموقف ابن قتيبة ،
فقد رفض انزلاق الألفاظ عما وضعت له ، ووصم ابا
تمام بالخطأ لانه استعمل بعض الفاظ في غير المسموع من
معانيها • قال ابو تمام :

وصنيعة لك ثيب اهديتها

وهي الكعاب لعائد بك مصرم

حلت محل البكر من معطى وقد

زفت من المعطي زفاف الأيّم (٢)

(١) ادب الكاتب : ١٩ •

(٢) يريد الشاعر ان هذه الصنيعة ثيب عندك لانك قد
اصطنعت مثلها مرارا وهي الكعاب (يريد البكر عند
هذا العائد بك) ، لانها اول ما اصطنعت اليه
او لانها اكبر صنيعة صنعتها عنده . والمصرم
القليل المال •

فخطأه الآمدى لأنه استعمل (الأيم) بمعنى
(الثيب) ، قال الآمدى : « الأيم هي التي لا زوج لها
بكرا كانت او ثيبا • قال الله عز وجل (وانكحوا الأيامى
منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) افتراه اراد
انكحوا الثيات من النساء دون الابدكار ؟ انما اراد تبارك
اسمه انكحوا النساء اللواتي لا أزواج لهن • فالثيب
والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل في
الاية • قال الشماخ :

يقر بعيني ان احدث انها

وان لم انلها ايم لم تزوج

وهذا هو المعنى المعروف في كلامهم « (١) •

وقد علق احسان عباس على نقد الآمدى هذا قائلاً :
« ان الالفاظ تنزلق احياناً انزلاقاً يسيراً عما وضعت له
بمرور الزمن ، وهذا مبدأ لا يحترمه امثال الآمدى

(١) الموازنة (الامدى) : ١٥٩/١

القائلون بالتدقيق « (١) •
وقال ابو تمام يصف فرسا :

ما مقرب يختال في اشطانه

ملآن من صلف به وتلهوق

فخطأه الآمدي ايضا لانه استعمل (الصلف) بغير
المسموع من معناها • قال الآمدي « قوله : (ملآن من
صلف به) يريد التيه والكبر ، وهذا مذهب العامة في
هذه اللفظة فاما العرب فانها لاتستعملها على هذا المعنى
وانما تقول : قد صلفت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ
عنده ، وصلف الرجل كذلك اذا كانت زوجته
تكرهه ••• والصلف الذي لا خير عنده » (٢) •

فانتقال دلالة كلمة (الصلف) وتغير مجال استعمالها
امر لا بأس باقراره ، والتسليم به لان له في العربية نظائر

(١) تاريخ النقد الادبي (احسان عباس) : ١٧٩

(٢) الموازنة : ١ / ٢٣٤

كثيرة ، وهو على ذلك ليس خطأ ، وانما هو من باب التطور والتجديد في معاني المفردات •

وعلى هذا فمن الجمود المنافي لروح اللغة وخصائصها ، ومن التضيق الذي لا مسوغ له ان يمنع ابن قتيبة والآمدي وسواهما من المتزمتين اكتساب عدد من المفردات دلالات جديدة •

وسلك المتزمتون في عصرنا الحديث سبيل ابن قتيبة والآمدي وامثالهما ، فرضوا عدداً من المفردات ، وقضوا عليها بالخطأ ، لتطور معانيها ، وتغير مجال استعمالها • والامثلة على ذلك كثيرة ، نكتفي ببعضها :

ذهب بعض اللغويين المعاصرين الى ان (احتج) • بمعنى انكر أو سخط ، خطأ ، وان قولنا (احتج فلان على سوء معاملته) مجانب للفصيح ، والصواب ان يقال « انكر فلان سوء معاملته » • ذلك لان « احتج » في اصل وضعها اللغوي بمعنى « ادلى بالحجة » لتأييد دعوى

او اثبات رأي « (١) » .

وواضح ان هذا اللغوي ينكر اتساع مدلول هذه اللفظة ، ولا يريد ان يعترف بأن هناك صلة بين (الانكار) و (السخط) وهو معنى اللفظة الجديد ، وبين الادلاء بالحجة وهو معناها القديم ، مع ان الصلة بين المعنيين واضحة ، فالسخط او الانكار يقود الى الادلاء بالحجة .

وانكر لغوي آخر ان يقال « ابتكرت الشيء » بمعنى اخترعته ، او ابتدعته ذلك لان القدامى استعملوا « ابتكر » لغير هذا المعنى ، فقد كانوا يقولون : « ابتكر الجارية » اي افتضاها و (ابتكر الخطبة) اي سمع اولها ، وكانوا يقولون : « ابتكر » بمعنى بكر . (٢)

وواضح ايضاً ان من التزمت الذي لا داعي له ان نرفض المعنى الجديد لكلمة « ابتكر » وذلك لعلاقته

(١) لغويات : ١٢

(٢) لغويات : ٦٢ .

الوثيقة بمعناها القديم ، فالابتكار في أصله اخذ اول الشيء ، وهي في معناها الجديد لم يخرج كثيرا عن هذا الاصل .

وأنكر آخرون مفردات كثيرة ، لتطور مدلولاتها ، واستعمال المحدثين لها في غير ما استعملها العرب الاقدمون ، ومن هذه المفردات « التحوير » التي جرى المعاصرون على استعمالها بمعنى التغير والتعديل ، وهي في أصلها بمعنى « التبييض » ففي المعجمات (حور الثوب) بمعنى قصره وبيضه ، و (حور الدقيق) اذا بيضه كذلك (١) .

و « انصاع » التي تطور مدلولها الى « انقاد » او « اطاع » وهي في أصلها اللغوي تعني « رجع مسرعا » (٢) .

و « فشل » التي صارت تعني (اخفق) و (خاب)

(١) لغة الجرائد (ابراهيم اليازجي) : ٣

(٢) نفسه : ٥

وهي في أصلها اللغوي بمعنى (ضعف) و (كسل)
و (جبن) . (١)

و (القاع) التي صارت تعني قرار الشيء او نهاية
أسفله كقولنا (قاع البحر) او (قاع النهر) وهي في
أصلها اللغوي الارض السهلة التي تنفرج عنها
الجيال . (٢)

ولا شك في ان من التزمت انكار هذه المفردات
وامثالها ذلك لأن التطور الدلالي مبدأ لغوي تجري عليه
لغات الارض كلها ، وليست العربية بدعا من هذه
اللغات ، بل ليست العربية المعاصرة بدعاً من العربية في
عصورها القديمة ، فقد رأينا اللغويين القدامى يعترفون
بالتطور الدلالي لعدد كبير من المفردات ، وما على
اللغويين المعاصرين الا ان يأخذوا بهذا المبدأ خدمة للغة ،
وتطويعاً لمفرداتها لأن تعبر عن المستحدث من المعاني ، او

(١) من حديث اللغة والادب (د . عبدالعزيز مطر) : ٥٨
(٢) نفسه .

الجديد من الافكار والخواطر •

٥ - رفض المولد من المفردات والتراكيب :

(المولّد) هو (ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم)^(١) واذا تذكرنا ان الذين يحتج بالفاظهم هم عرب الجاهلية وعرب القرنين الاول والثاني علمنا ان كل المفردات والاساليب التي استعملتها العرب الذين عاشوا بعد هذه الحقبة محكوم عليها بالخطأ او مجانبة الفصيح •

لقد اخذ المتزمتون بهذا المبدأ في عصور العربية

كافة ، فالاصمعي يقول :

« التحرير ليس من كلام العرب وهي كلمة

مولدة »^(٢) • والقاضي الجرجاني يقول معقبا على قول

ابي تمام :

(١) المزهر : ٣٠٤/١

(٢) نفسه •

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر

وغدا الثرى في حليته يتكسر

« ان لفظة يتكسر حضرية مولدة » (١)

وجرى المتزمتون من المحدثين على هذا العرف فانكروا مفردات وتراكيب لانها لم تسمع عن عرب الجاهلية والقرنين الاول والثاني ، وكأن اللغة يمكن ان تحفظ في قارورة محكمة ، فلا تنفذ اليها لفظة محدثة ، ولا يدخلها تركيب جديد . ان الباحث ليعجب حين يرى المتزمتين ينكرون مفردات واساليب كثيرة ، اعتادتها الالسن ، وجرت بها الاقلام ، بحجة انها مولدة ، « تسربت الى لغتنا في العهد الاخير » (٢) .

فهم ينكرون قولنا « تبادلا التحيات » ويحتمون ان نقول : « تقارضا التحيات » لان الفصحاء من العرب

(١) الوساطة : ٣٦ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي : ١ / ٣٢٦ .

كانوا يقولون : « تقارض فلان وفلان الثناء » و « تقارضا
الزيارة » ، فلو استعمل العرب اليوم ، كما يرى
المتزمتون ، هذا الفعل اي « تقارض » عوضا من
« تبادل » « لكانوا وقعوا على اللفظ العربي المستعمل
في هذا المقام » (١) .

وينكرون قولنا : « آثر الامر في نفسه » ويحتمون
ان نقول « حاك الامر في نفسه » ذلك لان الفصحاء من
العرب كانوا يستعملون في هذا المقام « حاك يحيك »
بدلا من « اثر يؤثر » ويستشهد المتزمتون على رأيهم هذا
بان صاحب اللسان نقل عن العرب قولهم : « فلان ما
يحيك فيه الملام » اذا لم يؤثر فيه (٢) .

وينكر اللغويون المتزمتون قولنا : « تجرى الان
تصفية شركة . . . » لان اطلاق « التصفية » على تنقيح
الحساب ، وتحرير الدين معنى مولد ، لم تأت به

(١) نفسه : ٣٣٨/١

(٢) نفسه : ٣٤٠/١

المعجمات •

وتضج اعمدة الصحف اليوم بكلمات كثيرة مولدة لم تسمع عن العرب ، فينكرها المتزمتون مثل « التأميم » و « التصنيع » و « التدويل » و « التركيز » بمعنى التكثيف ، و « الجرد » بمعنى الاحصاء ، كما تجرى على اللسان عبارات كثيرة مولدة لا يرضاها المتزمتون مثل « طرح المسألة على بساط البحث » و « ذر الرماد في العيون » و « كم هو جميل فلان » و « هو يلعب دوره » و « هو يّسهر على المصلحة العامة » و « يقف مع فلان على قدم المساواة » و « يلعب بالنار » و « لعب ورقته الاخيرة » و « حجر عشرة » و « يصطاد في الماء العكر » و « توترت العلاقات » و « ابتسامة هادئة » و « ضحكة صفراء » و « كرس حياته » ، وغير ذلك كثير مما لا مجال لذكره في هذا المكان .^(١)

(١) دراسات في اللغة (د . ابراهيم السامرائي) :
٢٤١ وما بعدها .

يرى المتزمتون ، اذن ، ان هذه التراكيب وامثالها ليست بفصيحة ، وان الاولى بالتكلمين هجرها ، حفاظاً على اللغة من الهجنة ، ومن ان ينساب اليها ما لم يقله العرب الفصحاء •

ولاشك في ان نبذ الكلمات والاساليب المولدة يعني افقار اللغة ، وتضييق سبيل التعبير بها •

وقد ادرك المجمع اللغوي في القاهرة اهمية المفردات المولدة ، وحاجة المتكلمين اليها ، فأقر قبولها ، وسمح لها بالدخول في معجمه الموسوم بـ « الوسيط » •

كما ادرك بعض اللغويين اهمية الاساليب المولدة ، فجازوا استعمالها ، ولم يشترطوا في اضافتها الى اساليبنا « الضرورة » التي اشترطها المجمع اللغوي في تعريب الكلمات ، ذلك لان هذه الاساليب لا تنطوي على كلمات اعجمية ولا تخرج في تأليفها عن طريقة بناء الجملة العربية « وانما هي كلمات عربية محضة ركبت تركيباً عربياً خالصاً لكنها تفيد معنى لم يسبق لاهل اللسان ان افادوه

بتلك الكلمات ، فقولهم : طلب فلان يد فلانه ، كلمات عربية مركبة تركيباً عربياً ، لكننا اذا خاطبنا بها العربي القح لم يفهم منها المغزى الاعجمي وهو خطبة الفتاة ، وانما هو اعتاد ان يفهم خطبتها بمثل : خطب فلان فلانه » . (١)

٦ - رفض المعرب والدخيل :

من الثابت ان اللغات يستعين بعضها بالفاظ بعض ، وقد حدث هذا بين اللغات القديمة ، وما يزال يحدث بين اللغات الحديثة » . (٢)

ومن المسلم به ان الفرد يشعر دائماً ان لغته ملك له ، وان « من حقه ان يزيد عليها ما يشاء من الفاظ اللغات الاخرى » . (٣)

على ان المرء حين يقتبس لفظاً اجنبياً يحرص على ان يجعل ذلك اللفظ مشاكلاً لالفاظ لغته من ناحية الاصوات

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي : ١ / ٣٣٢ .

(٢) من اسرار اللغة : ١٠٢ .

(٣) نفسه : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ومن ناحية الاوزان ، بمعنى انه يغير من أصوات الكلمة الاجنبية ما لايسهل عليه النطق به ، ويحذف منها او يزيد عليها لتوافق في بنيتها ووزنها الفاظ لغته « فيساعد مثل هذا الصنيع على شيوع اللفظ الاجنبي بين افراد البيئة لسهولة تناوله حينئذ والنطق به » (١) •

وقد يحدث في حالات قليلة ان يبقى اللفظ الاجنبي المستعار على حاله من غير تغيير في أصواته او في صيغته • ومهما يكن فان اقتباس لغة اخرى مبدأ لغوى ثابت يعرض للغات الناس كافة ، ومن غير هذا المبدأ لا يستطيع اللغة مواصلة الحياة ، ومواجهة المواقف الاستعمالية المستجدة التي لا يوجد بين ألفاظها ما يصلح للتعبير عنها •

ولم تكن العربية بدعاً من غيرها من اللغات ، فقد اقتبست قبل الاسلام وبعده الفاظا اجنبية كثيرة ، ولم يجد أهلها غضاضة في هذا ، او ضيراً على لغتهم •

(١) نفسه : ١٠٣

وقد سلك العرب الاوائل في الاقتباس السبيلين
المشار اليهما ، بمعنى أنهم غيروا طائفة من الالفاظ
الاجنبية ، وجعلوها على صور شبيهة بالكلمات العربية
وابقوا طائفة اخرى على ما كانت عليه في لغاتها الاصلية ،
وسموا النوع الاول من الالفاظ الاجنبية بـ (المعرب) ،
كما سموا النوع الثاني (الدخيل) . (١)

ان الناظر في المعجمات العربية وفي دواوين الشعراء
الجاهليين والاسلاميين والعباسيين يجد الكثير من
الكلمات الاجنبية ، مما يشهد للغتنا بأنها لغة حية و
نامية ، لا تحجم عن سلوك ما يصلها بالحياة ، ويزيد في
قدرتها على التعبير عن متطلبات المجتمع الذي يتكلمها .
غير ان اللغويين المتزمتين وقفوا بالتعريب عند
عصور الاحتجاج ، بمعنى انهم قبلوا ما دخل اللغة من
الاجنبي في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وعصر بني

(١) من اسرار اللغة : ١١٠ .

امية ، ثم اوصدوا الباب بوجهه فلم يقبلوا ما دخل اللغة
منه في العصر العباسي (١) .

ان موقف المتزمتين من التعريب موقف عجيب ،
ذلك لانهم نظروا اليه على انه حق للعرب الذين عاشوا
في الجزيرة العربية على قلة حاجتهم اليه ، وحرموه على
العرب الذين عاشوا في عصور الحضارة ، وازدهار
العلم ، وتلاقى الثقافات والافكار ، مع انهم في عصور
كهنه كانوا احوج الى التعريب ، ليسدوا ما ظهر في اللغة
من حاجة الى بعض الالفاظ والمصطلحات .

وواضح ان صنيع المتزمتين هذا لا يخدم اللغة ،
ولا يتيح لها ان تسير الحياة ، وتفي بالتعبير عن مطالبها
المتجددة .

وواضح ايضا ان فتح السبيل امام السيول المنهمة
على اللغة من اللغات الاخرى امر يودي باللغة ، ويقضي

(١) فصول في فقه العربية (د . رمضان عبد التواب) :

عليها •

ومعنى هذا ان كلا السيلين بعيدة من الصواب ،
وان المعقول ان يقبل اللغويون من ألفاظ الامم الاخرى
ما تدفع اليه الحاجة ، وما لا يوجد له مقابل في العربية ،
وبهذا تنمو اللغة ، وتسائر مواقف الاستعمال المتجددة
على الدوام •

وكما كان بين اللغويين العرب في القديم من رفض
المعرب ، ومنع دخول شيء منه في اللغة بعد القرنين الاول
والثاني ، كذلك وجد بين اللغويين العرب في القديم ايضا
من قبل المعرب ، ولم يجد حرجا في استعماله •

لقد استغل عدد من اللغويين القدامى مبدأ
الاستعارة من اللغات الاجنبية وجعلوه احدى الوسائل
في تنمية العربية ، وزيادة متنها ، فما « لم يجدوا له مرادفاً
بالعربية اقتادوه بلفظه الاعجمي عن اللغات التي نقلوا
عنها ، وربما استعاروا للمعنى الواحد لفظين من لغتين

اعجميتين لا يأنفون من ذلك ، ولا يجدون فيها
نكيراً » (١) .

وبذلك استطاعت العربية ان تتسع للفلسفات
والافكار والعلوم التي اطلع عليها العرب في لغات اليونان
والرومان والفرس والهنود وغيرهم ، وتمكنت من التعبير
عنها ، وتصوير دقائقها .

ولو ان اهل اللغة استجابوا لدعوة المتزمتين ،
وامتنعوا من اقتباس الالفاظ الاجنبية التي ليس في لغتهم
ما يقابلها ، لوقفت مسيرة الحضارة ، وركدت رياح العلم
ولكانت اللغة عائقا عن التقدم ، بدلا من تكون اداة له ،
وعونا كبيرا عليه .

وقد جاء في عصرنا الحاضر من وقف من التعريب
موقف المتزمتين الاقدمين ، تدفعهم الى ذلك غيرة شديدة
على اللغة ، فقد وقر في نفوس هؤلاء المتزمتين ان التعريب

(١) اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها

(جورج الكفوري) : ٩٢ .

يفسد اللغة ، ويتيح للغات الاخرى ان تغزوها وتجهز عليها . (١)

وقد وجد بين ادبائنا ايضا من ساند هذا الاتجاه ، ونظر الى اللفظ الاجنبي الذي تقبسه العربية نظرة ريبة وخوف ، قال قائلهم : ان « المرئي » احب الى من كلمة « التلفزيون » لا لان هذا الاسم هو افضل اسم ، غير ان كونه عربيا يجعله اقرب الى نفسي من الكلمة الاجنبية . (٢)

وكما ان المتزمطين الاقدمين لم يستطيعوا منع التعريب ولم يتمكنوا من ان يحرموا اللغة من اقتباس الالفاظ الاجنبية التي لا وجود لما يقابلها في العربية ، كذلك اخفق المتزمتون في مسعاهم ، وانطلقت منذ اوائل هذا القرن اصوات جريئة ، تندد بالجمود ، وتدعو الى

(١) مختارات المنفلوطي : ١١٢ .

(٢) محاضرات في شعر على محمود طه (نازك

الملائكة) : ٣٠٠ .

اغناء العربية بما تفتقر اليه من الفاظ الحضارة والعلوم
والمخترعات •

والذي يرجع الى كتاب « مختارات المفلوطي »
يجد مقالات مسهبة وبحوثا طويلة تدعو الى الاخذ بمبدأ
التعريب ، وقد كتب هذه البحوث اعلام مشهورون
كابراهيم اليازجي وحفني ناصف وحافظ ابراهيم واحمد
فتحي زغلول والشيخ محمد الخضري وغيرهم •

وقد استند هؤلاء اللغويون في ابحاثهم التعريب
إلى امرين ، الأول : ان العرب في سائر العصور وفي
العصر العباسي خاصة قد اقدموا على الافادة من اللغات
الاجنبية ، فاخذوا منها ما كانوا يفتقرون اليه من الفاظ
ومصطلحات واوضاع علمية وفلسفية •

والثاني : انهم وجدوا الافرنج يضيفون الى
لغاتهم ، ويعملون على امدادها بما تحتاج اليه من مفردات
وأوضاع ، الامر الذي جعل لغاتهم قادرة على مسايرة
التطور ، والتعبير عن المواقف الاستعمالية المتجددة •

فهذا حافظ ابراهيم مثلاً يقول : « اي رجل كان صاحب كتاب البؤساء ، واي غيث سقاه ، وجو حواه ، حتى ادخل في لغته من الكلمات ما يخطئه العده ووقف في وجوه المعارضين فيها . . . اليس رجالنا بقادرين على ان يأتوا متساندين بمثل ما أتى به ذلك الرجل وهو وحيد » . (١)

وهذا الشيخ محمد الخضري يقول : « واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيه لغة من لغات الامم الحية ، لان الامم كلما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة ، وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج بحيث ترون مجامعهم في شغل دائم لا يأنفون ان يجدوا يوماً في لغتهم كلمة زائدة دلت على معنى جديد ، وأكثر أحوالهم الاستعارة من غير لغتهم » . (٢)

(١) مختارات المنفلوطي : ٦٦ .

(٢) نفسه : ١٨٥ ، ١٨٦ .

على ان من الضروري الاشارة هنا الى ان اللغويين
الذين اجازوا التعريب لم يقولوا بفتح الباب على
مصراعيه امامه ، بل دعوا الى الأخذ به حين تعجز اللغة
عن التعبير عن المعنى المستحدث ، او المخترع الجديد .
ولا يغيب عن بالنا ان هذا هو المبدأ الذي سار
عليه اللغويون الاقدمون . لقد أجمع اللغويون الذين
اجازوا التعريب على قرار هذا نصه :-

« لبحث في اللغة العربية عن اسماء للمسميات الحديثة
بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فاذا لم يتيسر ذلك بعد
البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضع
على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد
ان يعتمد المجمع اللغوي الذي يؤلف لهذا الغرض » (١)
وحين تألف المجمع اللغوي المصري ، أقر هذا المبدأ
في العريب ، وما زالت مجامع الاقطار العربية ، وهيئات

(١) محاضرات عن حفني ناصف (محمد خلف الله
احمد) : ٧١ .

التعريب فيها تعمل به حتى يومنا هذا .
وهكذا لم يستطع المتزمتون المحدثون ، كما لم
يستطع اسلافهم ان يوقفوا مسيرة اللغة او يمنعوا حركتها
الدائمة ، وذلك لان اللغة موصولة بحياة الناطقين بها ،
وما دامت حياة هؤلاء في تطور دائم ، وتغير مستمر ،
كان لا بد للغة ان تستجيب لهذا التطور ، وتكون اداة
طبعة له ، وعوناً كبيراً عليه .

نخلص من كل ما تقدم الى ان التزمت في النقد اللغوي
هو مذهب نقدي عرفته العربية في عصورها القديمة ،
وما زالت تعرفه في حاضرها العتيد ، وان لهذا المذهب
خصائص وسمات ، وقد حاولنا في هذا البحث ان
نجلوها ، ونفصل القول فيها .

وقد مرت بنا خلال البحث اشارات الى خطر هذا
المذهب ، وفداحة ضرره باللغة ، وبالمجتمع الذي
يتكلمها . ونريد الان ان نسلط الضوء على هذا الضرر
ونوضح النتائج التي تترتب على التزمت في النقد

• اللغوي •

ان المتزمتين في كل عصر ، ينطلقون من مبدأ خاطيء ، ذلك لانهم يعتقدون ان العريية بناء أقامه الأسلاف ، فاحكموا قواعده ، واثموا مرافقه واجزاءه ، فليس من حق الخلف ان يضيف اليه ، او يغير فيه ، وهم بهذه النظرة قد عزلوا اللغة عن أهلها ، مع انها عرض من اعراض حياتهم ، واداة من ادوات عيشهم ، فهي كالاثواب التي يرتدونها ، والمتاع الذي يستخدمونه ، والبيوت التي يسكنونها ، وكل شيء من ذلك يجب ان يخضع لظروفهم ومقتضيات احوالهم •

لم يدرك المتزمتون هذه الفكرة على بساطتها ووضوحها ، وأصروا على ان تكون اللغة بمعزل عن أهلها ، فليس من حقهم ان يضيفوا اليها ، او يغيروا فيها ، وان كانت هذه الاضافة ، او ذلك التغيير مما تقتضيه مصلحة اللغة ، او تدعو اليه مصلحة الجماعة التي تتكلم بها •

لقد نظر المتزمتون الى ان أي اجتهاد في اللغة يعني التفريط بها ، والقضاء عليها ، مع ان الاجتهاد في اللغة ، اذا لم يخرج عن سننها ، ولم يخل بنظامها العام ، هو السبيل الذي يكفل بقاءها ، ويضمن تطويعها لحياة اهلها •

وحين وضع المتزمتون انفسهم من اللغة هذا الوضع الخاطيء ، كادت اللغة تختنق ، واوشكت في كل عصر من عصورها ان تتخلى عن وظيفتها ، وتكف عن مواكبة اهلها ، وملاحقة خطواتهم على طريق التقدم • غير انها رزقت في كل عصر بلغويين ينفخون فيها الحياة ، ويسمحون بان تنساب في عروقها دماء جديدة •

وقد ادرك المعاصرون من هؤلاء اللغويين ان المتزمتين هم السبب فيما ظهر على اللغة من أمارات الصعوبة ، وشيآت العسر •

وهم السبب ايضا في انصراف الناس عنها واستثقالهم امر تعلمها • بل لقد صرح بعضهم بان

المتزمتين قد ساعدوا « على تفشي العامية ، من حيث لا يريدون ذلك بتضييقهم الشديد على الفصيحة واثقالهم عاتقها بأعباء القيود ، ونزوعهم فيها الى الجمود وولوعهم بكل قديم ، واعراضهم عن كل حديث • فكأنهم أرادوا ان يوقفوا الفكر عن نموه ، بوقوفهم باللغة عند الحد الذي انتهت اليه ، وادعاء الكمال المطلق لها » (١) •

ولاشك في ان البحث اللغوي الحديث يؤيد هذا الرأي ، فامتكم دائما يؤثر التعاليم اللغوية السهلة ، ويفر من التشدد • وقانون السهولة هذا أحد القوانين التي تحكم اللغات ، وتصرف شؤونها •

ولذا نرى اكثر المثقفين يفرون من الفصيحة الى العامية تخلصا من النقد المتزمت الذي يأخذ بتلابيبهم ، ويضيق الخناق عليهم ، ويخطئهم في اكثر ما ينطقون به • ان اكثر المثقفين يفرون من وجه اللغوي المتزمت الى

(١) اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها : ٤٣ •

العامية التي «لا تعترف بسلطة النحويين واللغويين»^(١) .

وهكذا نرى ان التزمت في النقد اللغوي فوق ما ينزل باللغة من جمود وتوقف عن مسايرة الحياة ، يكون سبباً في الانصراف عن الفصيحة ، والتردي في مهاوى العامية . فكلما تطرف النقاد « بالتحريج والتقييد وسن القوانين »^(٢) ، تطرف الناطقون باللغة في تحطيم كل قيد ، والانفلات من كل قانون .

ان النقاد اللغويين مطالبون بأن يدققوا النظر في الجديد اللغوي فيعززوا ما هو خطأ محض لا يمت الى العربية بصلة ، ولا يتماشى مع روحها العام ، ونظامها الثابت ، ويقبلوا ما هو موافق لطبيعة اللغة ، ومنسجم مع فطرتها ، وجار على مقاييسها .

كما انهم مطالبون بان يقلعوا عن التمسك بالافصح ، ويأذنوا للتعبير الفصيح بان يستقر على

(١) نفسه : ٤٤

(٢) نفسه .

الالسن ، ويجرى في الاستعمال ، والفصيح عندي هو
كل ما ارتفع عن العامي ، سواء أورد في المعجم ، وجاءت
به النصوص القديمة ، ام لم يرد في المعجم ولم تأت به
النصوص ♦

ان التزمت في النقد مذهب لم يحالفه النجاح ، وقد
اخفق في جميع العصور ، وان الذين استمسكوا به من
النقاد لم يفلحوا في حمل الناس على الطريق التي رسموها
لهم ، ذلك لانه مذهب مخالف لطبيعة الاشياء ، ومجاف
لمنطق اللغة ، وما يراد لها ان تحققه من اغراض ♦

المصادر

• الاخطاء اللغوية الشائعة .

محمد علي النجار ، معهد الدراسات العربية العالية
١٩٦٠

— ادب الكاتب

عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تح . محمد محيي
الدين عبدالحميد ط ٣ ، ١٩٥٨

— أغلاط الكتاب

كمال ابراهيم ، بغداد ١٩٣٥

— الاقتصاب في شرح ادب الكتاب

ابو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي ، بيروت
١٩٠١ .

— تاريخ النقد الادبي عند العرب

الدكتور احسان عباس ، ط ١ ، بيروت ١٩٧١ .

— تثقيف اللسان وتلقيح الجنان

ابن مكي الصقلي ، تح . الدكتور عبدالعزيز
مطر ، القاهرة ١٩٦٦ .

— الخصائص

ابو الفتح عثمان بن جني ، تح . محمد علي
النجار ، ط ٢ بيروت .

— خصائص العربية ومنهجها الاصيل في التجديد والتوليد
محمد المبارك ، معهد الدراسات العربية العالمية
١٩٦٠ .

— دراسات في اللغة

الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٦٠ .

— درة الفواص في أوهام الخواص

ابو محمد القاسم بن علي الحريري ، ط ١ ،
القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

— شرح العكبري على ديوان المتنبي

ضبط وتصحيح مصطفى السقا ورفيقه ، ط ٢
١٩٥٦ .

— شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل

شهاب الدين الخفاجي ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

— الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها

احمد بن فارس ، تح ، الدكتور مصطفى الشويمي

بيروت ١٩٦٣ .

— طبقات النحويين واللغويين

ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، تح . محمد

ابي الفضل ابراهيم ، ط ١ القاهرة ١٩٥٤ .

— فصول في فقه العربية

الدكتور رمضان عبدالتواب ، ط ١ ١٩٧٣ .

— فلسفة اللغة العربية وتطورها

جبر ضومط ، القاهرة ١٩٢٩ .

— في اصول النحو

سعيد الافغاني ، ط ٣ ١٩٦٤ .

— فيض الخاطر

احمد امين ، القاهرة ١٩٤٤ .

— لحن العوام

ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، تح . الدكتور

رمضان عبدالتواب ، ط ١ ، ١٩٦٤ .

— لغة الجرائد

الشيخ ابراهيم اليازجي ، ط ١ مطبعة التقدم
بمصر بلا تاريخ .

— اللغة العربية في ما ضيها وحاضرها ومستقبلها .

جورج الكفوري ، بيروت ١٩٤٨ .

— اللغة والحضارة

الدكتور مصطفى مندور ، الاسكندرية ١٩٧٤ .

— اللغة والمجتمع

الدكتور علي عبدالواحد وافي ، ط ٢ ، ١٩٥١ .

— لغويات

محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي بمصر ،
بلا تاريخ .

— مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، ج ١ ، اكتوبر ١٩٣٤ .

محاضرات عن حنفي ناصف .

محمد خلف الله احمد ، معهد الدراسات العربية
العالية ١٩٦١ .

— محاضرات في شعر علي محمود طه

نازك الملائكة ، معهد الدراسات العربية العالية
١٩٦١ .

— مختارات المنفلوطي

المنفلوطي ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٤٧ .

— من اسرار اللغة

الدكتور ابراهيم انيس ، ط ٣ ، ١٩٦٦ .

— من حديث اللغة والادب

الدكتور عبدالعزيز مطر ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٢ .

— الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري

ابو القاسم الحسن بن بشر الامي ، تح . السيد

احمد صقر ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ — ١٩٦٥ .

— الموشح

ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ،

تح . علي محمد البجاوي القاهرة ١٩٦٥ .

— النشر المهجري

الدكتور عبدالكريم الاشر ، معهد الدراسات العربية

العالية ١٩٦١ .

– النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع
الهجري

الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، وزارة الثقافة
والفنون ، بغداد ١٩٧٨ .

– الوساطة بين المتنبي وخصومه

للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، تح .
محمد ابي الفضل ابراهيم ورفيقه ، ط ٣ بلا تاريخ .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد
(٢٣٥) لسنة ١٩٨٤

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
دار الحرية للطباعة - بغداد

Little Encyclopedia
A Fortnightly Cultural
Series dealing with various
branches of Science, Art,
and Literature

ISSUED BY THE MINISTRY OF
CULTURE & INFORMATION
BAGHDAD

Editor-in-Chief
Musa Kraidi

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول
مختلف العلوم والفنون والآداب
تصدرها دائرة الشؤون الثقافية والنشر
بغداد / شارع الخلفاء

رئيس التحرير : موسى كريدي

سكرتيرة التحرير : ميلان لفاري

المكتاب القادم :
مِيقَاتِي

والمِيقَاتِيَّة

تأليف

د. كمال فطهر أحمد